







PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR



32101 036255790

---

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

---

*This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.*

---



JUN 15 2014



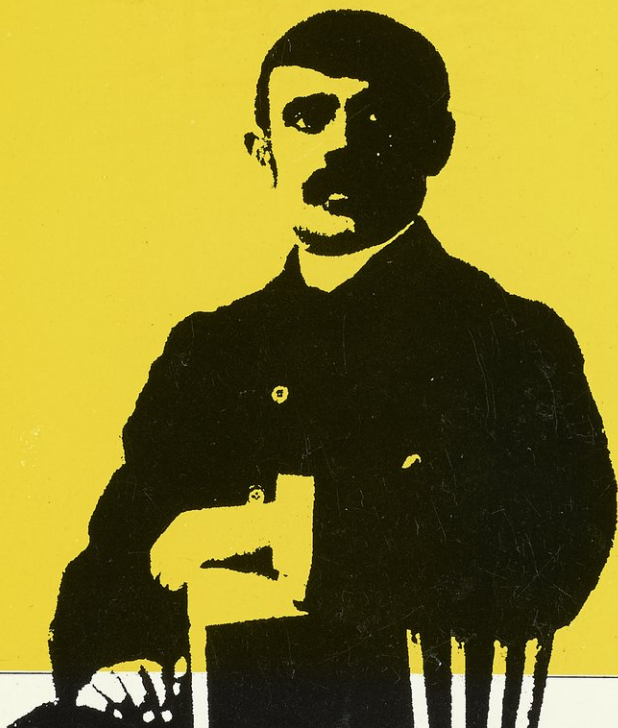
JUL 03 2015



# تحت الميزان

فيلم إصين

طبعة جديدة بمناسبة مائة عام على صدور الطبعة الأولى







# تحرير المرأة

تأليف

فيلسوف

المستشار بمحكمة استئناف مصر الاهلية

—————

— حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف —

—————

ملزم الطبع

محمد علي كاس

صاحب

مكتبة الزكي

ومطبتها

{ بشارع عبد العزيز بالقاهرة }

سنة ١٣١٦ - ١٨٩٩

(Arab)

HQ1793

.Q3

1999





32101 036255790

# فاتحة



## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد) فان البحث فيما عليه نساؤنا الآن من صفات و اخلاق و عوائد وما يجب أن يكنّ عليه من ذلك هو من أوجب الواجبات على كل من يحس حقيقة بالفرق بين العائلة عندنا وعند غيرنا أو بالفرق بين العدم والوجود ويود أن يكون عضواً من جسم أمة تحيا لانها تعمل عمل الاحياء وترتقى لانها تفعل فعل المرتقين

ولو كانت معرفة أسباب تهدم بناء عائلتنا - أو أمتنا - والوقوف على طرق اعادته بناءً عالياً ثابتاً مما يتعين على ذلك العضو الذي يجب أن يكون في بلاده انساناً حياراقياً فاطلاعه على (نمير المرأة) الذي انشره اليوم يفى ولاشك بجمل حاجته

محمد علي كامل



# مقدمة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كل مسألة من المسائل التي اجملتها في هذه الأسطر القليلة يصح أن تكون موضوعاً للكتاب على حدة . وقد تعمدت الاختصار فيها حتى ترتبط تلك المسائل ببعضها كأنها حلقات سلسلة واحدة . وغاية ما يريد هو أن أستلقت الذهن الى موضوع قل عدد المفكرين فيه لا أن أضع كتاباً يوفي الكلام في شأن المرأة ومكانتها من الوجود الانساني . وقد يوضع مثل هذا الكتاب بيد سنين متى نبتت هذه البذرة الصغيرة ونمي نباتها في أذهان أولادنا وظهرت ثمراتها وعملوا على اقتطافها والانتفاع بها

ويرى المطلع على ما اكتبه أنني لست ممن يطمع في تحقيق آماله في وقت قريب لأن تحويل النفوس الى وجهة



الكمال في شؤونها مما لا يسهل تحقيقه وإنما يظهر أثر العاملين فيه ببطيء شديد في أثناء حركته الخفية . وكل تغيير يحدث في أمة من الأمم وتبدو ثمرته في أحوالها فهو ليس بالأمر البسيط وإنما هو مركب من ضروب من التغيير كثيرة تحصل بالتدرج في نفس كل واحد شيئاً فشيئاً ثم تسري من الأفراد إلى مجموع الأمة فيظهر التغيير في حال ذلك المجموع نشأة أخرى للأمة

وما نحن فيه اليوم ليس في الطاقة البشرية تغييره في الحال . وليس من العار علينا أننا وجدنا في مثل هذه الحالة لأن كل عصر لا يسأل إلا عن عمله . وإنما العار أن نظن في أنفسنا الكمال وننكر نقائصنا وندعي أن عوائدنا هي أحسن العوائد في كل زمان ومكان . وأن نعاند الحق وهو واحد لا يحتاج في تقريره إلى تصديق منابه وكل ما نقوله أو نتعله لا نكاره لا يؤثر فيه شيء وإنما يؤثر فينا أثر الباطل في أهله ويقوم حجاباً بيننا وبين اصلاح أنفسنا إذ لا يمكن لأمة أن تقوم باصلاح ما إلا إذا شعرت شعوراً حقيقياً بالحاجة إليه ثم بالوسائل الموصلة له

لا أظن أنه يوجد واحد من المصريين المتعلمين يشك في أن أمته في احتياج شديد الى اصلاح شأنها . فهؤلاء المتعلمون الذين اخاطبهم اليوم أقول أن عليهم تبعة ما نألم له في عصرنا هذا . ولا يليق بمعارفهم ولا بعزائمهم أن يسجلوا على أنفسهم وعلى امتهم العجز واليأس والقنوط . فان ذلك صورة من صور الكسل أو مظهر من مظاهر الجبن أو حال من أحوال من لا ثقة له بنفسه ولا بأهله ولا بملته ولا بشرعه ولا بالله وأراهم بهذا يستسلمون الى تيارات الحوادث تتصرف فيهم كما تتصرف في الجماد والنبات وتقذف بهم الى حيث يحبون أو لا يحبون

وقد طرقت باباً من أبواب الاصلاح في امتنا وامتست وجهاً من وجوهه في قسم من أفراد الامة له الأثر العظيم في مجموعها واتي في ذلك بما أظنه صواباً فان أخطأت فلي من حسن النية ما أرجو معه غفران سيئة خطأي . وان أصبت كما أظن وجب على أولئك المتعلمين أن يعملوا على نشر ما أودعته في هذه الوريقات وتأبيده بالقبول والعمل

## تمهيد

﴿ حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية ﴾

— تابعة لحالة الآداب في الامة —

---

اني أدعو كل محب للحقيقة ان يبحث معي في حالة النساء المصريات وأنا على يقين من أنه يصل وحده الى النتيجة التي وصلت اليها وهي ضرورة الاصلاح فيها . هذه الحقيقة التي انشرها اليوم شغلت فكري مدة طويلة كنت في خلالها اقلبها وأمتحنها وأحلمها حتى اذا تجردت عن كل ما كان يختلط بها من الخطأ استوت على مكان عظيم من موضع الفكر مني وزاحمت غيرها وتغلبت عليه وصارت تشغلني بورودها وتذبيني الى مزاياها وتذكرني بالحاجة اليها فرأيت ان لامناس من ابرازها من مكان الفكر الى فضاء الدعوة والذكر

ومن احكم الأشياء التي يدور عليها تقدم النوع الانساني



ويؤكّد حسن مستقبله هذه القوة الغريبة التي تدفع  
الإنسان إلى نشر كل فكرة علمية أو أدبية متى وصلت إلى  
غاية نموها الطبيعي في عقله واعتقد أنها تساعد على تقدم  
إنشاء جنسه ولو تيقن حصول الضرر لشخصه من نشرها.  
تلك قوة يدرك سلطانها من وجد في نفسه شيئاً منها. يشعر  
أنه إن لم يسابقها إلى ما تندفع إليه ولم يستنجد بقيمة قواه  
لمعاونتها على استكمال ما تهيأت له غالبته إن غالبها وقاومته  
إن قاومها وقهرته إن عمل في قهرها وظهرت في غير ما يجب  
من مظاهرها كأنها الغاز المخبوس لا يكتم بالضغط ولكن  
الضغط يحدث فيه فرقة قد تأتي على هلاك ما حواه

والبراهين على ذلك كثيرة في الماضي فإن تاريخ الأمم  
مملوء بالمناقشات والجدل والجلاد والحروب التي قامت في  
سبيل استعلاء فكر على فكر ومذهب على مذهب وكانت  
الغلبة تارة للحق وأخرى للباطل وكانت الأمم الإسلامية على  
هذه الحال في القرون الأولى والوسطى. ولم يزل الأمر على  
ذلك أو يزيد في البلاد الغربية التي يصبح إن يقال فيها إن  
حياتها جهاد مستمر بين الحق والباطل والخطأ والصواب:

جهاد داخلي بين افراد الامة في جميع فروع المعارف والفنون  
 والصنائع . وجهاد خارجي بين الامم بعضها مع بعض .  
 خصوصاً في هذا القرن الذي الفت فيه الاختراعات الحديثة  
 المسافات والأبعاد وهدمت الحدود الفاصلة والأسوار المانعة  
 حتى ان الأشخاص الذين ساحوا في جميع انحاء الأرض  
 يعدون بالألوف . واذا الف رجل من مشاهيرهم كتاباً ترجم  
 في اثناء طبعه وظهر في خمس او ست لغات في آن واحد !  
 ولم يركن الى حب السكينة الا اقوام على شاكنا .  
 فقد اهملنا خدمة عقولنا حتى اصبحت كالارض البائرة التي  
 لا يصلح فيها نبات وحتى مال بنا الكسل الى معادة كل فكر  
 صالح ما يعده أهل الوقت حديثاً غير مألوف سواء كان من  
 السنن الصالحة الأولى أو قضت به المصالح في هذه الازمنة  
 وكثيراً ما يكتفي الكسول وضعيف القوة في الجدل بان  
 يتدف بكامة باطالة على حق ظاهر يريد ان يدنعه فيقول تلك  
 بدعة في الاسلام . وما يربي بهذه الكامة الاحب التخلص  
 من مشقة الفهم أو الخروج من عناء العمل في البحث أو  
 الاجراء : كأن الله خالق المسلمين من طينة خاصة بهم واقالمهم

من احكام النواميس الطبيعية التي يخضع لسلطانها النوع  
الانساني وسائر المخلوقات الحية

سيقول قوم ان ما انشره اليوم بدعة . فاقول نعم اتيت  
ببدعة ولكنها ليست في الاسلام . بل في العوائد وطرق  
المعاملة التي يحمد طلب الكمال فيها

لم يعتقد المسلم ان عوائده لا تتغير ولا تتبدل وانه يلزمه  
ان يحافظ عليها الى الابد ؟ ولم يجر على هذا الاعتقاد في عملا مع  
انه هو وعوائده جزؤ من الكون الواقع تحت حكم التغيير  
والتبديل في كل آن ؟ أيقدر المسلم على مخالفة سنة الله في خلقه  
اذ جعل التغيير شرط الحياة والتقدم والوقفه والجمود مترنين  
بالموت والناخر ؟ أليست العادة عبارة عن اصلاح أمة على  
سلوك طريق خاصة في معيشتهم ومعاملاتهم حسبا يناسب  
الزمان والمكان ؟ من ذا الذي يمكنه ان يتصور ان العوائد  
لا تتغير بعد ان يعلم انها ثمرة من ثمرات عقل الانسان وان عقل  
الانسان يختلف باختلاف الاماكن والازمان ؟ المسلمون  
منتشرون في اطراف الارض . فهل هم انفسهم متحدون في  
العادات وطرق المعاش ؟ من ذا الذي يمكنه ان يدعي ان



ما يستحسنه عقل السوداني يستحسنه عقل التركي أو الصيني أو الهندي . أو ان عادة من عادات البدوي توافق أهل الحضرة أو يزعم ان عوائد أمة من الأمم مهما كانت بقيت جميعها على ما كانت عليه من عهد نشأتها بدون تغيير ؟

والحقيقة أن لكل أمة في كل مدة من الزمن عوائد وآداباً خاصة بها موافقة لحالتها العقلية . وان تلك العوائد والآداب تتغير دائماً تغيراً غير محسوس تحت سلطان الأقليم والوراثة والمخالطات والاختراعات العلمية والمذاهب الأدبية والعقائد الدينية والنظامات السياسية وغير ذلك . وان كل حركة من حركات العقل نحو التقدم يتبعها حتماً أثر يناسبها في العادات والآداب . وعلى ذلك يلزم ان يكون بين عوائد السوداني والتركي مثلاً من الاختلاف بقدر ما يوجد بين مرتبتهما في العقل . وهو الأمر المشهور الذي لا ريبه فيه . وعلى هذه النسبة يكون الفرق بين المصري والأوروباني

ولا يمكن ان يتصور أحد ان العادات التي هي عبارة عن طريق سلوك الانسان في نفسه ومع عائلته ومواطنيه وابتناء جنسه تكون في أمة جاهلة أو متوحشة مثل ما تكون في



أمة متمدنة لان سلوك كل فرد منها إنما يكون على ما يناسب مداركه ودرجة تربيته

ولهذا الارتباط التام بين عادات كل أمة ومنزلتها من المعارف والمدنية نرى ان سلطان العادة انفذ حكماً فيها من كل سلطان وهي اشد شؤونها لصوقاً بها وابعدها عن التغيير ولا حول للامة عن طاعتها الا اذا تحوات نفوس الامة وارتفعت او انحطت عن درجتها في العقل ولهذا نرى انها تتغلب دائماً على غيرها من العوامل والمؤثرات حتى على الشرائع . ويؤيد ذلك ما نشاهده كل يوم في بلادنا من ان القوانين واللوائح التي توضع لاصلاح حال الامة تنقلب في الحال الى آلة جديدة للفساد . وليس هذا بغريب فقد تغلب العادات على الدين نفسه فتنفسده وتمسخه بحيث ينكره كل من عرفه

وهذه هو الاصل فيما نشهده ويؤيده الاختبار التاريخي من التلازم بين انحطاط المرأة وانحطاط الامة وتوحشها وبين ارتقاء المرأة وتقدم الامة ومدنيتها . فقد علمنا ان في ابتداء تكون الجمعيات الانسانية كانت حالة المرأة لا تختلف عن حالة الرقيق في شيء وكانت واقعة عند الرومان واليونان مثلاً تحت

سلطة ايها ثم زوجها ثم من بعده اكبر اولادها . وكان لرئيس العائلة عليها حق الملكية المطلقة فيتصرف فيها بالبيع والهبة والموت متى شاء ويرثها من بعده ورثته بما عليها من الحقوق المخولة لمالكها . وكان من المباح عند العرب قبل الاسلام ان يقتل الاباء بناتهم وان يستمتع الرجال بالنساء من غير قيد شرعى ولا عدد محدود . ولا تزال هذه الساطة الآن سائدة عند قبائل افريقيا وامريكا المتوحشة . وبعض الامم الآسيوية يعتقد ان المرأة ليس لها روح خالدة وانها لا ينبغي ان تعيش بعد زوجها . ومنهم من يقدمها الى ضيفه اكراماً له كما يقدم له احسن متاع يمتلكه .

كل هذا يشاهد في الجمعيات الناشئة التي لم تقم على نظامات عمومية بل كل ما فيها يقوم بروابط العائلة والقبيلة والقوة هي القانون الوحيد الذي تعرفه . وهكذا الحال الآن في البلاد التي تدار بحكومة استبدادية لانها تحكيم كذلك بقانون القوة اما في البلاد التي ارتقت الى درجة عظيمة من التمدن فانا نرى النساء اخذن يرتفعن شيئاً فشيئاً من الانحطاط السابق وصرن يمتنعن المسافات التي كانت تبعدهن عن الرجال : هذه

تجربو وتلك تخطو وهذه تمشي وتلك تعدو كل ذلك بحسب حال الجمعية التي تمتسب اليها ودرجة المدنية فيها . فالمرأة الأمريكية في أول صف ثم تتلوه الانجليزية وتأتي بعدها الألمانية وتليها الفرنسية ثم النمساوية ثم التليزية ثم الروسية الخ . كلها نفوس شعرت أنها حقيقة بالاستقلال فهي تبحث عن الوسائل لنيله . وأنها جديرة بالحرية فهي تسعى للوصول اليها . وأنها من نوع الانسان فهي تطالب بكل حق الانسان والغربي الذي يحب أن ينسب كل شيء حسن الى دينه يعتقد أن المرأة الغربية ترقى لأن دينها المسيحي ساعدها على نيل حريتها . ولكن هذا الاعتقاد باطل . فان الدين المسيحي لم يتعرض لوضع نظام يكفل حرية المرأة ولم يبين حقوقها بأحكام خاصة أو عامة . ولم يرسم للناس في هذا الموضوع مبادئ يهتدون بها . وقد أقام هذا الدين في كل امة دخل فيها بدون ان يترك أثراً محسوساً في الأخلاق من هذه الجهة بل تشكل نفسه بالشكل الذي افادته اياه اخلاق الامة وعاداتها . ولو كان لدين ما سلطة وتأثير على العوائد لكانت المرأة المسادة اليوم في مقدمة نساء الأرض



سبق الشرع الاسلامي كل شريعة سواه في تقرير مساواة المرأة للرجل فأعلن حريتها واستقلالها يوم كانت في خضيض الانحطاطا عند جميع الامم وخولها كل حقوق الانسان واعتبر لها كفاءة شرعية لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية من بيع وشراء وهبة ووصية من غير ان يتوقف تصرفها على اذن ايها أو زوجها . وهذه المزايا التي لم تصل الى اكتسابها حتى الآن بعض النساء الغربيات كلها تشهد على ان من اصول الشريعة السمداء احترام المرأة والتسوية بينها وبين الرجل . بل ان شريعتنا بالغت في الرفق بالمرأة فوضعت عنها احوال المعيشة ولم تلزمها بالاشتراك في نفقة المنزل وتربية الأولاد خلافاً لبعض الشرائع الغربية التي سوت بين الرجل والمرأة في الواجبات فقط وميزت الرجل في الحقوق والميل ان تسوية المرأة بالرجل في الحقوق ظاهر في الشريعة الإسلامية حتى في مسألة التحلل من عقدة الزواج فقد جمعت لها في ذلك طرقاً جديدة بالاعتبار سيأتي الكلام عنها خلافاً لما يتوهمه الغربيون ويظننه بعض المسلمين ولم ار الا مسألة واحدة ميز الشرع فيها الرجال على



النساء وهي تعدد الزوجات . والسبب في ذلك واضح يتعاقب بمسئلة النسب التي لا يقوم للزوج حياة بدونها وسيأتي الكلام عليها ايضاً فيما يلي . وبالجملة فليس في احكام الديانة الاسلامية ولا فيما ترمى اليه من مقاصدها ما يمكن ان ينسب اليه انحطاط المرأة المسلمة . بل الأمر بالعكس فانها اكتسبت بها مقاماً رفيعاً في الهيئة الاجتماعية

لكن وآأسفاه قد تغلبت على هذا الدين الجميل اخلاق سيئة ورثناها عن الامم التي انتشر فيها الاسلام ودخلت فيه حاملة لما كانت عليه من عوائد واوهام ولم يكن العرفان قد بلغ بتلك الامم حداً يصل بالمرأة الى المقام الذي احلته الشريعة فيه وكان اكبر عامل في استمرار هذه الأخلاق توالى الحكومات الاستبدادية علينا

تجردت الجماعات الاسلامية على اختلاف الأزمان والأماكن من النزاهات السياسية التي تحدد حقوق الحاكم والمحكوم وتحول للحكومين مطالبه الحاكمين بالوقوف عند الحدود المقررة لهم بمقتضى الشريعة والنظام . بل اخذت حكومتها الشكل الاستبدادي دائماً فكان لسلطانهم واعوانه

سلطة مطلقة فحكموا كيف شاؤوا بلا قيد ولا استشارة ولا مراقبة واداروا مصالح الرعية بدون ان يكون له صوت فيها نعم ان كان الحاكم صغيراً أو كبيراً ملزماً باتباع العدل واجتناب الظلم لكن من المحرب ان السلطة غير المحدودة تغري بسوء الاستعمال اذا لم تجد حداً تقف امامه ورأياً يناقشها وهيئة تراقبها. ولهذا مضت القرون على الامم الاسلامية وهي تحت حكم الاستبداد المطاق واساء حكامها في التصرف وبالغوا في اتباع اهوائهم واللعب بشؤون الرعايه . بل لعبوا بالدين نفسه في اغلب الأزمنة . ولا يستثنى منهم الا عدد قليل لا يكاد يذكر بالنسبة الى غالبهم

اذا غلب الاستبداد على امة لم يقف اثره في النفس عند ما هو في نفس الحاكم الأعلى . واكثنه يتصل منه بمن حوله ومنهم الى من دونهم وينفث روحه في كل قوى بالنسبة لكل ضعيف متى مكنته القوة من التحكم فيه . يسرى ذلك في النفوس رضى الحاكم الأعلى او لم يرض

كان من اثر هذه الحكومات الاستبدادية ان الرجل في قوته اخذ يحتقر المرأة في ضمنها . وقد يكون من اسباب

ذلك ان اول اثر يظهر في الامة المحكومة بالاستبداد هو فساد الأخلاق

قد يمكن ان يتوهم من اول وهلة ان الشخص الواقع عليه الظلم يجب العدل ويميل الى الشفقة لما يتناسبه من المصائب التي تتوالى عليه . لكن المشاهد يدل على ان الامة المظلمة لا يصلح جوها ولا تنفع ارضها لنمو الفضيلة ولا يربوا فيها الا نبات الرذيلة . وكل المصريين الذين عاشوا تحت حكم المستبدين السابقين — وما العهد منهم ببعيد — يعلمون ان شيخ البلد الذي كان يسلب منه عشرة جنيهات كان يستردها مئة من الاهالى . والعمدة الذي كان يضرب مائة كرجاج عند عودته الى بلده ينتقم من مائة فلاح

فن طبيعة هذه الحالة ان الانسان لا يحترم الا انقوة ولا يردع الا بالخوف . ولما كانت المرأة ضعيفة اهتضم الرجل حقوقها واخذ يعاملها بالاحتقار والامتهان وداس بأرجله على شخصيتها . عاشت المرأة في انحطاط شديد اياً كان عنوانها في العائلة زوجة او امّاً او بنتاً ليس لها شأن ولا اعتبار ولا رأى خاضعة للرجل لأنه لرجل ولائها امرأة . فنى شخصيتها



في شخص الرجل ولم يبق لها من الكون ما يسعها الا ما استتر  
من زوايا المنازل واختصت بالجهل وانتحجبت باستار الظلمات  
واستعملها الرجل متاعاً للذة . يلهو بها متى اراد . ويقذف بها  
في الطرق متى شاء . له الحرية ولها الرق . له العلم ولها الجهل .  
له العقل ولها البله . له الضياء والفضاء ولها الظلمة والسجن .  
له الأمر والنهي ولها الطاعة والصبر . له كل شيء في الوجود  
وهي بعض ذلك الكل الذي استولى عليه :

من احتقار الرجل للمرأة أن يملأ بيته بجوار بيض او  
سود أو بزوجات متعددة يهوى الى أيهن شاء منقاداً الى  
الشهوة مسوتاً ببادت الترف وحب استيفاء اللذة غير مبال  
بما فرضه عليه الدين من حسن القصد فيما يعمل ولا بما اوجبه  
عليه من العدل فيما يأتي

من احتقار المرأة ان يطلق الرجل زوجته بلا سبب  
من احتقار المرأة ان يتعد الرجل على مائدة الطعام وحده  
ثم تجتمع النساء من ام واخت وزوجة ويأكلن ما فضل منه  
من احتقار المرأة ان يعين لها محافذاً على عرضها مثل  
اغااو مقدم أو خادم يراقبها ويصحبها اينما تتوجه



من احتقار المرأة ان يسجنها في منزل ويفتخر بأنها لا تخرج  
منه الا محمولة على النعش الى القبر  
من احتقار المرأة أن يعلن الرجال ان النساء لسن محلا  
للثقة والامانة

من احتقار المرأة أن يحال بينها وبين الحياة العامة والعمل  
في أى شيء يتعلق بها : فليس لها رأى في الاعمال ولا فكر في  
المشارب ولا ذوق في الفنون ولا قدم في المنافع العامة ولا  
مقام في الاعتقادات الدينية وليس لها فضيلة وطنية ولا شعور ملي  
ولست مبالغا ان قلت ان ذلك كان حال المرأة في مصر  
الى هذه السنين الاخيرة التي خفت فيها نوات سلطنة الرجل على  
المرأة تبعاً لتقدم الفكر في الرجال واعتدال السلطنة الحاكمة عليهم  
ورأينا النساء يخرجن لقضاء حاجاتهن ويترددن على المنتزهات  
العمومية لاستنشاق الهواء وترويح النفوس بتسريح النظر في  
الكائنات التي عرضها الصانع جل شأنه على نظر كل مخلوق  
رجلا كان او امرأة . وكثير منهن يذهبن مع رجالهن الى  
السياحة في بعض البلاد الاخرى . وكثير من الرجال قد  
اعطوا لنسائهن مقاما في الحياة العائلية

وهذا انما طرأ على بعض الرجال من نشأة الثقة في نفوس  
اولئك الرجال بنسائهم واطمئنانهم الى امانتهم : وهو احترام  
جديد للمرأة

نعم لا ننكر ان هذا التغيير لا يخلو من وجوه انتقاد .  
لكن سبب الانتقاد في الحقيقة ليس هو نفس التغيير ولكنه  
الاحوال التي احتفت به واهمها رسوخ عادة الحجاب في انفس  
الجمهور الاعظم ونقص تربية النساء . فلو كملت تربية النساء  
على ممتضى الدين وقواعد الادب ووقف بالحجاب عند الحد  
المعروف في اغلب المذاهب الاسلامية سقطت كل تلك  
الانتقادات وامكن للامة ان تنتفع بجميع افرادها نساء ورجالا



## تربيت المرأة

---

المرأة وما ادراك ما المرأة . انسان مثل الرجل .  
لا تختلف عنه في الاعضاء ووظائفها ولا في الاحساس ولا  
في الفكر ولا في كل ما تقتضيه حقيقة الانسان من حيث  
هو انسان اللهم الا بقدر ما يستدعيه اختلافهما في الصنف  
فاذا فاق الرجل المرأة في القوة البدنية والعقلية فذلك  
انما لانه اشتغل بالعمل والفكر اجيالاً طويلة كانت المرأة  
فيها محرومة من استعمال القوتين المذكورتين ومتهورة على  
لزوم حالة من الانحطاط تختلف في الشدة والضعف على  
حسب الاوقات والاماكن

ولا يزال الناس عندنا يعتقدون ان تربيت المرأة وتعليمها  
غير واجبين . بل انهم يتساءلون هل تعليم المرأة القراءة  
والكتابة مما يجوز شرعاً او هو محرم بمقتضى الشريعة !



واتذكر اني اشرت يوماً على اب وقد رأيت معه بنتاً بلغت من العمر تسع سنوات اعجبني جمالها وذكاءها بان يعلمها فاجابني « وهل تريد ان تعطيتها وظيفة في الحكومة ؟ » فاعترضت عليه قائلاً . « وهل في مذهبك لا يتعلم الا الموظفون ؟ » فاجابني . — « اني اعلمها جميع ما يلزم لادارة منزلها ولا افعل غير ذلك » قال هذا على وجه يشعر انه لا يحب المناقشة في رأيه . ويعنى هذا الاب العنيد بادارة المنزل ان بنته تعرف شيئاً من صناعة الخياطة وتجهيز الطعام واستعمال المكوى وما اشبه ذلك من المعارف التي لا انكر انها مفيدة بل لازمة لكل امرأة . ولكني اقول ولا اخشى نكيراً انه مخطيء في توهمه ان المرأة التي لا يكون لها من البضاعة الا هذه المعارف يوجد عندها من الكفاءة ما يؤهلها الى ادارة منزلها ففي رأبي ان المرأة لا يمكنها ان تدير منزلها الا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والادبية . فيجب ان تتعلم كل ما ينبغي ان يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائي على الاقل حتى يكون لها المام بمبادئ العلوم يسمح لها بعد ذلك باختيار ما يوافق ذوقها منها واتقانه بالاشتغال به متى شاءت



فاذا تعلمت المرأة القراءة والكتابة واطلعت على أصول الحقائق العلمية وعرفت مواقع البلاد واجالت النظر في تاريخ الامم ووقفت على شئ من علم الهيئة والعلوم الطبيعية وكانت حياة ذلك كله في نفسها عرفانها العقائد والآداب الدينية استعد عقلها لقبول الآراء السليمة وطرح الخرافات والباطيل التي نفتك الآن بعقول النساء

وعلى من يتولى تربية المرأة أن يبادرها من بداية صباها بتعويدها على حب الفضائل التي تكمل بها النفس الانسانية في ذاتها . والفضائل التي لها أثر في معاملة الاهل وحفظ نظام القرابة . والفضائل التي يظهر اثرها في نظام الامة حتى تكون تلك الفضائل جميعها ملكات راسخة في نفسها : ولا يتم له ذلك الا بالارشاد القوي والقذوة الصالحة هذه هي التربية التي اتمنى ان تحمل عليها المرأة المصرية ذكرتها بالاجمال وهي مفصلة في المؤلفات المخصصة لها في كل اللغات . ولا اظن ان المرأة بدون هذه التربية يمكنها ان تقوم بوظيفتها في الهيئة الاجتماعية وفي العائلة :

١

أما بالنسبة للوظيفة الاجتماعية

فلا نرى النساء في كل بلد يقدرن بنصف سكانه على الأقل  
 فبقاؤهن في الجهل حرمان من الانتفاع بأعمال نصف عدد  
 الأمة وفيه من الضرر الجسيم ما لا يخفى  
 ولا شيء يمنع المرأة المصرية من أن تشتغل مثل الغربية  
 بالعلوم والآداب والهنود الجميلة والتجارة والصناعة إلا جهلها  
 وإهمال تربيتها. ولو أخذ بيدها إلى مجتمع الأحياء ووجهت  
 عزيمتها إلى مجاراتهم في الأعمال الحيوية واستعملت مداركها  
 وقواها العقلية والجسمية لصارت نفساً حية فعالة تنتج بقدر  
 ما تستهلك لا كما هي اليوم عالة لا تعيش إلا بعمل غيرها  
 ولما كان ذلك خيراً لوطنها لما ينتج عنه من ازدياد الثروة  
 العامة والثمرات العقلية فيه

وإنما مثلنا الآن مثل رجل يملك رأس مال عظيم فيدعه  
 في الصندوق ويكتفي بأن يفتح صندوقه كل يوم ليتمتع برؤية  
 الذهب ولو عرف لاستعمله وانتفع منه وضاعفه في سنين قليلة

من عوامل الضعف في كل مجتمع انساني ان يكون العدد العظيم من افراده كلاً عليه لاعمل له فيما يحتاج اليه وان عمل كان كالألة الصماء او الدابة العجماء لا يدري ما يصدر منه المرأة محتاجة الى التعليم لتكون انساناً يعقل ويريد . بلغ من أمر المرأة عندنا اننا اذا تصورناها وجدنا من لوازم تصورها ان يكون لها ولي يقوم بحاجاتها ويدير شؤونها كأن وجود هذا الولي امر مضمون في جميع الاحوال مع ان الوقائع اظهرت لنا ان كثيراً من النساء لا يجدن من الرجال من يعولهن فالبنت التي فقدت اقربائها ولم تتزوج والمرأة المطلقة والارملة التي توفي زوجها والوالدة التي ليس لها اولاد ذكور اولها اولاد قصر — كل هذه المذكورات يحتاجن الى التعليم ليتمكنن القيام بما يسد حاجتهن وحاجات اولادهن ان كان لهن اولاد . اما تجردهن عن العلم فياجؤهن الى طلب الرزق بالوسائل المخالفة للأداب او الى التطفل على بعض العائلات الكريمة ويمكن ان يقال اننا لو بحثنا عن السبب الذي قد يحمل تلك المرأة المسكينة التي تبذل نفسها في ظلام الليل لأول طالب . وما اكبر هذه المذلة على المرأة — لو وجدناه في الاغلب شدة



الحاجة الى زهيد من الذهب والفضة . وقلما كان الباعث على ذلك الميل الى تحصيل اللذة

ثم انه لا يكاد تخلو عائلة مصرية من تحمل نفقات عدد من النساء اللاتي وقعن في العوز ولا قدرة لهن على العمل للخروج منه . ويمكننا ان نعد هذا من الاسباب المانعة للعائلات من السير على قواعد الاقتصاد

لهذا السبب وغيره نرى الاختلال الجسيم في مالية العائلات فان الرجل المصري الذي يشتغل لكسب عيشه وعيش اولاده يرى شطراً من المال الذي يجمعه ينفق على أشخاص من أقاربه أو معارفه أو بمن لا علاقة له بهم ولكن تلزمه الرأفة الانسانية بان يبذل لهم من كسبه ما يستطيع كيلا يموتوا جوعاً . وهم يرون أنه انما يفعل ما يجب عليه ومع ذلك هم قادرون على الكسب ولكن يحول بينهم وبينه جهلهم باستعمال ما أتوا من القوة وذلك بسبب ما حرموا من التريبة ولو فرض أن المرأة لا تخلو من زوج أو ولي ينفق عليها أفلا تكون التريبة ضرورية لمساعدة ذلك العائل ان كان فقيراً أو تخفيف شيء من أثقال ادارة المال داخل البيت ان كان غنياً

فان كانت المرأة غنية بنفسها — وهو نادر — بأن كان لها  
ايراد من عقارات ونحوها أفلا يفيدها التعليم في تدبير ثروتها  
وادارة شؤونها ؟

نرى النساء كل يوم في اضطرار الى تسليم أموالهن الى  
قريب أو أجنبي . ونرى وكلاءهن يشتغلون بشؤون أنفسهم  
اكثر مما يشتغلون بشؤون موكلاتهم فلا يمضى زمن قليل الا  
وقد اغتنى الوكيل وافتقر الاصيل

نرى النساء يضعن أختامهن على حساب أو مستند أو  
عقد يجهلن موضوعه أو قيمته وأهميته لعدم ادراكهن كل  
ما محتوى عليه أو عدم كفاءتهن لفهم ما أودعه فتجرد الواحدة  
منهن عن حقوقها الثابتة بتزوير أو غش أو اختلاس يرتكبه  
زوجها أو أحد أقاربها أو وكيلها . فهل كان يقع ذلك لو كانت  
المرأة متعلمة ؟

على أن التعليم في حد ذاته هو في كل حال حاجة من  
حاجات الحياة الانسانية . وهو الآن من الحاجات الاولى  
في كل مجتمع دخلت فيه المدنية . واصبح العلم هو الغاية  
الشريفة التي يسعى اليها كل شخص يريد أن يحصل سعادته

المادية والروحية . ذلك لان العلم هو الوسيلة الوحيدة التي يرتفع بها شأن الانسان من منازل الضعة والانحطاط الى مراقى الكرامة والشرف . ولكل نفس حق طبيعي في تنمية ملكاتها الغريزية الى أقصى حد تربى اليه باستعدادها

وقد جاءت الشرائع الالهية والقوانين الوضعية تخاطب النساء كما تخاطب الرجال . والفنون الجميلة والصنائع والمخترعات والفلسفة العالية كل ذلك يستلقت من المرأة مثل ما استلقته من الرجال . فأى نفس شريفة لا تشتاق الى مطالعتها والتمتع بكنوزها طلباً للحقيقة والسعادة في الدنيا والآخرة ؟ وأي فرق بين الرجل والمرأة في هذا الشوق ونحن نرى أن الصبيان من الذكور والاناث يستوون في الاستفهام عن كل شىء يعرض لهم وطلب العلم بأسباب ما يقع تحت ابصارهم من الحوادث ؟ وربما كان الولع بذلك في الانثى أشد منه في الذكر

أى نفس حساسة ترضى بالعيشة في قفص مقصورة الجناح مطاطأة الرأس مغمضة العينين وهذا الفضاء الواسع الذي لا نهاية له أمامها والسماء فوقها والنجوم تلعب ببصرها



وارواح الكون تناجيها وتوحي اليها الآمال والرغائب في فتح  
كنوز أسرارها؟

التكاليف الشرعية تدلنا على أن المرأة وهبت من العقل  
مثل ما وهب الرجل . أيضاً رجل لم يعمه الغرض ان الله قد  
وهبها من العقل ما وهبها عبثاً . وانه اتاها من الحواس وآلات  
الادراك ما اتاها لاجل ان تهملها ولا تستعملها؟

يقول المسلمون ان النساء ربات الخدور يعمرن المنازل  
وان وظيفتهن تنتهي عند عتبة باب البيت . وهو قول  
من يعيش في عالم الخيال وضرب بينه وبين الحقيقة بحجاب  
لا ينفذ بصره الى ما وراءه

ولو تبصر المسلمون لعلموا ان اعفاء المرأة من أول واجب  
عليها وهو التأهل لكسب ضروريات هذه الحياة بنفسها هو  
السبب الذي جر ضياع حقوقها . فان الرجل لما كان مسؤولاً  
عن كل شيء استأثر بالحق في التمتع بكل حق ولم يبق للمرأة  
حظ في نظره الا كما يكون لحيوان لطيف يوفيه صاحبه  
ما يكفيه من لوازمه تفضلاً منه على ان يتسلى به

مضت الاجيال عندنا والمرأة خاضعة لحكم القوم مغلوبة

لسلطان الاستبداد من الرجل وهو لم يشأن يتخذها الا أمراً  
صاححاً خدتمته مسيراً بإرادته . وأغلق في وجهها أبواب المعيشة  
والكسب بحيث آل أمرها الى العجز عن تناول وسيلة من  
وسائل العيش بنفسها ولم يبق أمامها من طرقه الا ان تعيش  
بعضها اما زوجة أو مفضحة

ولما لم يبق للعقل ولا للأعمال النافعة قيمة لديها وانما  
بضاعتها ان تسلي الرجل وتمتعه من اللذة بجسمها بما شاء ووجهت  
جميع قواها الى التفتن في طرق استمالته اليها والا ستيلاء على  
أهوائه وخواطر نفسه

مضت تلك الازمان الطويلة على المرأة ولم يمس  
عقلها شيء من التربية الصحيحة فضعفت منها القوه العاقلة  
والمفكرة وانفرد الحس بالتصرف في ارادتها. فحسها هو المميز  
عندها بين الخير والشر . وهو الرائد لها في الاختيار بين  
النفع والضرر . فهي تنفر او تميل . فان احبت اخلصت لاعتن  
عقل . وصدرت منها الاعمال الجميلة في ما تحب ولمن تحب  
بمحض الهوى لا بأصالة الرأي . وان نفرت ارتكبت أكبر  
الجرائم غير بصيرة بالعواقب ولا عارفة بالمصائر . فلو كانت

العناية بتربية عقلها وتنمية الملكات الفاضلة فيها لنمت بذلك  
قوة الحكم على احساسها ولتصرفت في اعمالها على مقتضى  
الحكمة وقواعد الادب

أضلت المرأة عقلمها في ظلمات الاجيال الماضية ففقدت  
رشدها وادركها العجز عن تناول ماتشتهي من الطرق المسنونة  
فاضطرت الى استعمال الحيلة وأخذت تعامل الرجل — وهو  
سيدها وولي امرها — كما يعامل المسجون حارس سجنه  
والحفيظ عليه . ونمت فيها ملكة المكر الى غاية ايس ورائها  
منزع . فاصبحت ممثلة ماهرة ومشخصة قادرة تظاهر في المظاهر  
المتضادة والألوان المختلفة في كل حال بحسبها . ذلك لا عن  
عقل وحكمة وانما هي حيل الثعالب

ولكن لا لوم عليها وعذرها انها ليست حرة . وانما  
فقدت الحرية لانها فقدت السلامة في قوة التمييز . بل اللوم  
كل اللوم على الرجال: اريد بهم من سبقنا ممن اهملوا تربية نساءنا

---



## ٢

واما بالنسبة للوظيفة العائلية

فيكفي لكل انسان متفكر ان يتأمل في حالة عائلته ليتأكد ان استمرار الحال على ما هي عليه الا زصار مما لا يمكن احتماله انى اكتب هذه السطور وذهنى منعم بالحوادث التي وردت عليّ بالتجربة وأخذت بمجامع خواطرى . ولا اريد أن اذكر شيئاً منها لعلمي أنها ما تركت ذهنياً حتى طافت به ولا خاطراً حتى وردت عليه . فان مشار هذه الحوادث جميعها هو شيء واحد وهو المرض الملم بجميع العائلات لا فرق بين فقيرها وغنيها ولا بين وضعها ورفيعها وهو جهل المرأة . فقد تساوت النساء عندنا فى الجهل مساواة غير محبوبة ولا يظهر اختلافهن الا فى اللبس والحلى . بل يمكن ان يقال انه كلما ارتفعت المرأة مرتبة فى اليسر زاد جهلها . وان آخر طبقة من نساء الامة وهي التي تسكن الأرياف هي اكلمن عقلاً بنسبة حالها المرأة الفلاحة تعرف كل ما يعرفه الرجل الفلاح

مداركهما في مستو واحد لا يزيد احدهما عن الآخر تقريباً مع اننا نرى ان المرأة في الطبقة العالية أو الوسطى متأخرة عن الرجل بمسافات شاسعة. ذلك لان الرجال في هذه الطبقات تربت عقولهم واستنارت بالعلوم ولم تتبهم نساؤهم في هذه الحركة بل وقفن في الطريق. وهذا الاختلاف هو اكبر سبب في شقاء الرجل والمرأة معاً

فالرجل المتعلم يحب النظام والتنسيق في منزله وله ذوق مهذب يميل الى الاشكال اللطيفة والاحساسات الدقيقة والالتفاتات الرقيقة ويبلغ الاهتمام بها عند بعض الافراد حداً ينتهي الى اهمال الامور المادية. يفهم بكلمة ويود لو يفهم بالاشارة. يسكت في اوقات ويتكلم في اخرى ويضحك في غيرها. له افكار يحبها ومذهب يشغله وجمعية يخدمها ووطن يعزه. له لذائذ وآلام معنوية فيبكي مع الفقير ويحزن مع المظلوم ويفرح بالخير للناس. وفي كل فكرة تتولد في ذهنه واحساس يؤثر على اعصابه يود ان يجد بجانبه انساناً آخر فيشرح له ما يشعر به ويتسامر معه. وهذا ميل طبيعي يجده كل شخص من نفسه. فاذا كانت امرأته جاهلة كتتم افراده واحزانه عنها ولم يلبث ان

يرى نفسه في عالم وحده وامرأته في عالم آخر . اذ هي تعتبر ان الرجل ما خلق في هذه الدنيا الا ليشتري لها الاقمشة الغالية والجواهر النفيسة وايصرف اوقاته في ملاءمتها كانه صورة اكبر من التي كان يشتريها لها والدها في صغرها اتاهو بها

ومتى رأى الرجل امرأته بهذه المنزلة من الجهل بادر الى نفسه احتقارها واعتبرها من الاعداء التي لا اثر لها في شؤونه وهي متى رآته اهل واغضى ضائق صدرها وظنت انه يظلمها وبكت سوء حظها الذي ساقها الى رجل لا يقدرها قدرها ونبئت البغضاء في قلبها . ومن ثم تبثدي عيشة لا أظن ان الجحيم أشد نكالا منها . عيشة يرى كل منهما فيها ان صاحبه هو العدو الذي يحول بينه وبين السعادة

ولا يظن ان هذا يختص بذوي الاخلاق الفاسدة من الرجال والنساء . فقد تكون المرأة طيبة صالحمة والرجل شريف الاحساس ولكن العيشة بينهما خصام مستمر ولا ذنب على احدهما بل الذنب على اختلافهما في التربية كما تقدم . ومنتهى هذه الحالة — ان استمر الاقتران بينهما — ان يميت احدهما حقه في سبيل راحة الآخر او يجر كلاهما قيده الثقيل الى آخر



العمر . ولكن مهما كان حال الزوجين — وهما ما ذكرنا من الوصف — فلا سبيل الى ارتباطهما برابطة المحبة اذا أخذت بمعناها الخاص . ولا خسران في الدنيا يبلغ فقد لذة الحب بين الرجل والمرأة

جاء في القصص الدينية المسطورة في الكتب السماوية ان الله خلق حواء من ضلع آدم . وفيه على ما اخبرنا رمز لطيف الى ان الرجل والمرأة يكونان مجموعاً واحداً لا يتم الا بتعادلهما ومن هذا المعنى أخذ الغريون تسميتهم المرأة بنصف الرجل وهو تعبير فصح يدل دلالة واضحة على ان المرأة والرجل هما شقان لجسم واحد مفتقر بعضه الى بعض ايتمه الكمال بالاجماع وهذا الانجذاب الغريزي الذي أوجده الله في كل المخلوقات الحية — حتى النباتات التي يشاهد في بعضها حركة محسوسة بين الذكر والانثى اذا آن وقت التلقيح على طريقة حار في تفسيرها علماء الطبيعة — هو اهم عنصر يدخل في تركيب الحب . وهو يكفي لحدوث الميل بين الرجل والمرأة ولا يختلف في الانسان عن الحيوان . اما اصل هذا الانجذاب وطبيعته وسببه فهو أمر لا يزال غامضاً كاصول كل الاشياء تقريباً .

وانما يرجح قسم من العلماء انه سيال يتولد في المراكز العصبية  
فتمى وجد هذا الانجذاب بين رجل وامرأة شعروا بضرورة  
اقترابهما . فاذا تلاقيا أخذت كلا منهما هزة الفرح . تتكلم  
عيونهما وترجم عن الاضطرابات التي تهيج قلوبهما قبل ان ينطق  
اللسان كأن روحيهما صديقتان انترقتا في عالم قبل هذا العالم  
وأخذت كل واحدة منهما تبحث عن الاخرى حتى اذا التقتا  
وجدت كل منهما ضالتها التي كانت تنشدها وتنشأ فيهما  
بعد اللقاء آمال واماني اكبر من مجرد التلاقي فتختلفان ويحدث  
بينهما شبه العهد على أن لا تفترقا . ترى كل واحدة منهما ان  
لا سعادة لها الا باتصالها بالآخرى

ليكن هذا الانجذاب المادي لا يلبث مدة حتى ياخذ في  
التلاشي ويتناقص شيئاً فشيئاً . فهما كانت شدة الرغبة عند أول  
التلاقي فهي صائرة الى الزوال في زمن يختلف طوله وقصره  
باختلاف الامزجة . وتضمحل تلك الامال وتتساقط تلك  
الاماني ويكاد التقاطع يحل محل التواصل لولا ما اختص الله به  
الانسان من القدرة على استدامة تلك العاطفة والاستزادة من  
لذة الوصال بما يستجلى من بهاء الارواح وسناء العقول . فهو

يضم الى المنظر البديع الجسداني منظاراً آخر قد يكون ابداع في  
اعتباره وهو المنظر الروحاني العقلي . وكثيراً ما يستبدل لذة  
الحس التي لا بقاء لها بلذة العقل والوجدان التي لا تنتهي اطوارها  
ولا تنفى مظاهرها . يستهويه الحب لمشهد الوجه الجميل وسواد  
العيون ورشاقة القد وطول الشعر . ولكن يمتزج العشق بروحه  
حتى يكون كأنه طبع لها اذا وجد بجانب ذلك الجمال لطف  
الشمايل ورقة الذوق وبهاء النظنة ونفاذ العقل وسعة العرفان  
وحسن التدبير والحذق في العمل مع المحافظة على النظام فيه  
ونظافة الباطن والظاهر وحنو القلب وصدق اللسان وطهارة  
الذمة وعظم الامانة والاخلاص في الولاة ونحو ذلك من  
الفضائل المعنوية التي ترجح عند العقلاء على جميع المحاسن  
الجسدانية . ووجدان اللذة بهذه المعاني عنصر آخر يدخل في  
تركيب الحب ايضاً — ومن هذين العنصرين يتركب الحب التام  
واما ما يروى من أن رجلاً عشق امرأة عشقاً روحانياً  
محضاً أو ان آخر عشق أخرى للذة المادية ليس الا بدون  
اعتبار تلك الصفات الادبية فقد يكون لان الاول رجل خيالي  
والثاني رجل جاهل شهوي . على ان التجارب دلت على ان



هذه الشهوات البتراء ليس لها حظ من البقاء . فهي كالنار

ذات اللهب تهب وتنطفي بسرعة

واليك بياناً يزيد وضوحاً في فهم ما تقدم .

اللذة الجسمانية المتحددة في النوع مهما تخالفت في الافراد

فهي دائماً واحدة . فان افراد اللذة المتحددة في النوع تتشابه

الى حد تكاد لا تتميز الا باختلاف الزمان او المكان مثلاً فما

يحصل منها اولاً هو ما يحصل ثانياً وثالثاً ورابعاً وهكذا

ومن البديهي ان تكرر لذة بعينها مهما كانت سواء كانت

لذة نظر او لذة سمع او لذة ذوق او لذة لمس يفضي في الغالب

الى فقد الرغبة فيها فيأتي زمن لا تتنبه الاعصاب لها لكثرة

تعودها عايتها والامر بخلاف ذلك بالنسبة لهذه المعنوية .

هذه اللذة في طبيعتها انه يمكن تجدها في كل آن . تأمل في

مسامرة صديقين تجد انها اكثر سرور لا يفتنى . متى تلاقيا

يفرغ كل منهما روحه في روح الاخر فيسري عقلهما من موضوع

لموضوع وينتقل من الجزئيات الى الكليات ويمر على الالام

والامال والقبيح والحسن والناقص والكامل . كل عمل او

فكر او حادث او اختراع يكسب عقلهما غذاءً جديداً ويفيد

انفسهما لذة جديدة . كل مظاهر من مظاهر حياة أحدهما العقلية والوجدانية وكل ما تجلت به نفسه من علم وأدب وذوق وعاطفة تنعكس منه على نفس الآخر لذة جديدة ويزيد في رابطة الالفة بينهما عقدة جديدة

ومن هنا يعلم مقدار سلطان الحب الحقيقي على الانسان وكيف أن العارف يعتبر العثور على ذلك الحب الشريف من أكبر السعادات في هذه الدنيا . فان كان المال زينة الحياة فالحب هو الحياة بعينها

فهذا الحب لا يمكن أن يوجد بين رجل وامرأة اذا لم يوجد بينهما تناسب في التربية والتعليم . ولا يجب ان يفهم ان الرجل المتعلم اذا لم يحب زوجته فهي يمكنها أن تحبه . فان توهم ذلك يعد من الخطأ الجسيم لان الحب الحقيقي الذي عرفت عنصره المادي والمعنوي لا يبقى الا بالاحترام . والاحترام يتوقف على المعرفة بمقدار من تحترمه . والمرأة الجاهلة لا تعرف مقدار زوجها .

سل جمهور المتزوجين هل هم محبوبون من نساءهم يجيبونك نعم . لكن الحقيقة غير ما يظنون — اني بحثت كثيرا في عائلات

مما يقال انها في اتفاق تام فما وجدت الى الآن لازوجاً يحب امرأته ولا امرأة تحب زوجها . اما هذا الاتفاق الظاهري الذي يشاهد في كثير من العائلات فمعناه انه لا يوجد شقاق بين الزوجين اما لان الزوج تعب وترك واما لان المرأة تركت زوجها يتصرف فيها كما يتصرف المالك في ملكه واما لانهما الاثنان جاهلان لا يدركان قيمة الحياة . وهذا الحال الاخير هو حال اغلب الأزواج المصريين . ولا ارى ما يقرب من السعادة الا في هذا النوع الاخير وان كان سعادة سلبية لا قيمة لها

اما في النوعين الاولين فقد اشترى الوفاق بضمن غال وهو فناء احد الزوجين في سبيل ابقاء الاخر . وغاية ما يمكن ان اسلم به هو أنه قد يشاهد في عدد قليل من الأزواج شيء يقرب من المودة يظهر في بعض الاحيان ثم يختفي . وهو استثناء يؤيد القاعدة وهي عدم الحب . عدم الحب من طرف الزوج لان امرأته منأخرة عنه في العمل والتربية تأخراً فاحشاً بحيث لا يكاد توجد مسألة يمكن ان يتحدثا فيها لحظة بسرور متبادل . لا يكاد يوجد امر يتفقان في الحكم عليه برأي واحد . ولانها



بعيدة عن العواطف والمعاني والاشغال التي يميل اليها ومغمورة في شؤون ليس لها من ميله نصيب . حتى في الامور التي هي من عملها وترى انها خالقت لاجابها لا يرى منها زوجها ما يروق نظره . فاكثر النساء لم يتعودن على تسريح شعورهن كل يوم . ولا على الاستحمام اكثر من مرة في الاسبوع ولا يعرفن استعمال السواك . ولا يعتنين بما يلي البدن من الملابس مع ان جودتها ونظافتها لها اعظم تاثير في استمالة الرجل ولا يعرفن كيف تتولد الرغبة عند الزوج وكيف يحافظ عليها وكيف يمكن تنميتها وكيف تكون موافاتها . ذلك لان المرأة الجاهلة تجهل حركات النفس الباطنه وتغيب عنها معرفة اسباب الميل والنفور فاذا ارادت ان تستميل الرجل جاءت في الغالب بعكس ذلك

واما عدم الحب من طرف المرأة فلانها لا تذوق معنى الحب . ولو اردنا ان نحلل احساسها بالنسبة لزوجها نجد انه يتركب من امرين ميل اليه من حيث هو رجل ابيح لها ان تقضي معه شهواتها . وشعور بان هذا الرجل نافع لها للقيام بحاجات معيشتها . اما ذلك الامتزاج بين روحيين اختارت كل

منهما الاخرى من بين آلاف من سواهما امتزاجاً تاماً يؤلف منهما  
 موجوداً واحداً كأن كلا منهما صوت والاخر صدهاء . ذلك  
 الاخلاص التام الذى ينسى الانسان نفسه ولا يدع له فكراً  
 الا فى صاحبه . ذلك الاخلاص الذى لا نجد له مثالا اظهر  
 من حب الوالدة لولدها — فهي بعيدة عنه بعد السماء عن  
 الارض . لان الحب بهذه الدرجة ان لم يكن طبيعياً كحب  
 الام لولدها فهو ثمرة عزيزة لا تطلب الا عند النفوس العالية  
 التى تغابت فيها العواطف الكريمة على الاستئثار

والزوجة المصرية مهما كانت لا تعرف من زوجها سوى  
 انه طويل او قصير ابيض او اسود . اما قيمة زوجها العقلية  
 والادبية وسيرته وطهارته وذكته ودقته احساسه ومعارفه واعماله  
 ومقاصده فى الوجود وكل ما تصاغ منه شخصية الرجل منا  
 ويصير به الى ان يكون محترماً محبوباً ممدوحاً فى امته — فهذا  
 لا يصل الى عقلاها شيء منه . وان وصل فلا يؤثر على منزلته  
 فى نفسها . وعلى هذا يكون اول من يجهل الرجل زوجته .  
 فكيف يظن أنها تحبه

ترى نساءنا يمدحن رجالاً لا يقبل رجل شريف ان يمد

لهم يده ايصافهم ويكرهن آخريين ممن نعتبر وجودهم شرفاً لنا . ذلك لان المرأة الجاهلة تحكم على الرجل بقدر عقليها . فاحسن رجل عندها هو من يلاعبها طول النهار وطول الليل ويكون عنده مال لا يفنى لقضاء ما تشتهي من الملابس والحلى والحلوى . وابعض الرجال عندها من يقضي اوقاته في الاشغال في مكتبه . كلما رأته جالساً منحني الظهر مشغولاً بمطالعة كتاب غضبت منه واعنت الكتب والعلوم التي تسلب منها هذه الساعات وتختلس الحقوق التي اكتسبتها على زوجها . ومن هذا يتولد على الدوام نزاع لا ينتهي الا بنزاع جديد ولا يدري الزوج المسكين ما يصنع اذا اراد ان يجمع بين هذين العدوين : الزوجة والعلم . اراه في حيرة اشد من الرجل الذي جمع بين زوجتين . فقد رأينا احياناً كثيرة مظاهر الوفاق بين زوجتين لرجل واحد . وما سمع قط ان امرأة مصرية ممن نعني رضيت بمباشرة العلم

ومن البديهي ان الرجل الذي يكون هذا حاله ينتهي بفقد كل استعداد للعمل . لان العلم لا يشمر الا اذا كان العقل متمتعاً بالهدوء والسكون خالياً عن الاضطراب والتشويش . ولان



الرجل يطلب راحته وهي في يد امرأته ولكنها تبخل بها عليه  
 رأينا مما تقدم ان المرأة المصرية لا تجد ذوق الحب  
 خصوصاً اذا كان زوجها متعلماً يصرف وقته في الاعمال النافعة  
 قد يقال أن الحب الذي تكلمت عنه هو من كمال السعادة  
 وليس من الامور الضرورية التي لا يستغنى عنها في الزواج.  
 وانه عند فقده يمكن أن يعوض بصفات أخرى عند الزوجة  
 ويكفي أن المرأة تكون رفيقة لزوجها شريكة له في المنافع  
 والمضار ولذلك فهي تساعد على حاجات الحياة ليتم له بعض  
 السعادة — هذا يمكن أن يكون. ولكن كيف الوصول اليه  
 ايضاً مع جهل المرأة

قلت ان المرأة الفلاحة مع جهلها هي زميلة الرجل في  
 كل أعماله وهي قائمة بخدمة منزلها ومساعدة زوجها. ذلك  
 سهل لان العيشة في الارياف ساذجة بدوية تقريباً وحاجات  
 العائلة قليلة. اما في المدن التي ترقى فيها المعيشة وكثرت  
 الحاجات وتشعبت طرق المنافع وبلغت فيها ادارة المنزل الى  
 درجة ادارة مصالحة من كبار المصالح فللمرأة التي يسلم اليها  
 زمامها لا يمكنها ان تديرها الا بالتعليم والتربية

والحقيقة ان ادارة المنزل صارت فناً واسعاً يحتاج الى معارف كثيرة مختلفة . فعلى الزوجة وضع ميزانية الايراد والمنصرف بقدر ما يمكن من التدبير حتى لا يوجد خلل في مالية العائلة . وعليها مراقبة الخدم بحيث لا يفلتوا لحظة من مراقبتها وبغير هذا يستحيل ان يؤدوا خدمتهم كما ينبغي . وعليها ان تجعل بيتها محبوباً الى زوجها فيجد فيه راحته ومسرته اذا آوى اليه . فتحاوله الاقامة فيه ويلذ له المطعم والمشرب والمنام فلا يطلب المفرد منه ليضي اوقاته عند الجيران أو في المحلات العمومية وعليها - وهو أول الواجبات واهمها - تربية الاولاد جسداً وعقلاً وأدباً

وظاهر ان تطبيق هذه الواجبات التي ذكرتها بالأجمال على العيشة الجارية بالتفصيل يستدعي عقلاً واسعاً ومعلومات متنوعة وذوقاً سليماً : لا يتأتى وجود ذلك في المرأة الجاهلة وخصوصاً ما يتعلق منها بتربية الاطفال

بالغنا في نسيان ان الاولاد هم صناعة الوالدين وان الامهات لهن النصيب الأوفر في هذه الصناعة . بالغنا في اعتقاد ان الله يخرج الفاسد من الصالح ويخرج الصالح من الفاسد . وانه

يوزع العقول ويهب الصفات كما يشاء . وهو اعتقاد صحيح اذا أخذ عن جهة ان الله قادر على كل شيء ومن متناول قدرته ان يفعل مثل ذلك . فان كان المقصود ان الله يمكنه ان يفعل مثل هذا فلا شك في قدرته سبحانه وتعالى . وليس من ينازع في انه لو شاء فعل ذلك . كما انه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولأنبت الحيوان من الارض . لكن الله وضع للعالم سنة وللحياة نظاماً وله مخلوقات نواميس تجري عليها احكامها :

« فعمارة الله التي فطر الناس عليها . لا تبديل لخلق الله .

ذلك الدين القيم » وتاريخ الانسانية من عهد وجودها على

الارض الى الآن ايد ثبات هذه السنن واستمرارها

من اكبر مظاهر حكمته جل شأنه هذه الحقيقة التي

كشفها لنا العلم وهي ان كل فرد من الانواع الحية — وفيها

النوع الانساني — ليس الانسخة مطابقة للاصل المتولد منه .

ففيه صورة نوعه الكافي وفيه صورة والديه خصوصاً . بمعنى

ان هذا الفرد يحتوي اولاً على الخواص المميزة لنوعه وعلى

الصفات الخاصة بابويه

ودلت الاكتشافات الحديثة ايضاً على ان كل الملكات



العقلية والادبية في الانسان انما هي مظاهر من وظائف المخ كما ان الصفراء من عمل وظيفه الكبد . وما يسمى عقلا او عاطفة فلا عمل له الا عمل تلك الوظائف وعملها تابع لحالة الاعصاب والمخ . وانما مادة تلك الاعضاء منتزعة من الاصل الذي تولدت منه فلا ريب ان يكون لها تبعية عظمى لذلك الاصل . ثم من الظاهر ان الجسم لا يستغني في نموه وبقائه بما دخل فيه من تلك المادة الاولى بل لابد في النمو والبقاء من التريية والغذاء . فكذلك حال العقل والممكات لا يستغني بما اودعته المدارك والقوى من الاستعداد الاول بل لابد في ظهور اثرها وسيرها فيما اعدت له من الغذاء الذي يوافقها والتريية التي تلائمها . فالوراثة والتريية هما الاصلان اللذان ترجع اليهما شخصية الطفل ذكراً كان او انثى وليس هناك شيء من وراء ذلك

فبالوراثة يكسب الطفل استعداداً لكل ميل كان عليه والوالدان صالحاً كان او فاسداً ويرتكز فيه ذلك الاستعداد وهو في بطن امه فصفاة الطفل مرتبطة بما كان عليه اسلافه من جهة الام ومن جهة الاب . وبالترية يمتلي ذهن الطفل بالصور الواردة عليه من الاحساس وبأثرها في نفسه الما كان او لذة .

وتعرض حسه لقبول هذه الصور موكول الى ادارة مربيه .  
فهو الذي يريه ويسمعه ويذيقه وينفذه كل معلوم . وهو الذي  
يعرض على وجدانه من العواطف ما يراه لا ثقباً به . فان لم  
يرد عليه من صور المحسوسات الا ما هو قليل غير متبوع بما  
ينشأ عنه من العواقب البعيدة . او لم يشعر من العواطف الا بما  
يظهر أثره في أقرب الاشياء من لذته الجسمانية كان سريع  
الاندفاع مع اول خاطر يبدو له كما يفعل الطفل والمتوحش  
والجنون . وان كانت معلوماته كثيرة تحتوي على صور الاشياء  
وصور ما يحدث عنها الا اول التصور وما ينشأ عنها فيما بعد ذلك  
وكان وجدانه رقيقاً لطيفاً كان الناشيء كثير التأمل شديد التبصر  
بطيء الاندفاع مع أول انفعال يتأثر به من الحس والشعور .  
فينشأ ويده ميزان يزن به اعماله ويقدر به حركاته ويشاهد  
فيه وهو في صباه الميل الى النافع والنفرة من الضار

لا نقول ان الطفل يكون في ذلك كما يكون الرجل البالغ  
الرشيد . ولكنها اوائل وجرائم من الكمال العقلي والادبي  
تصل بالتنمية والتربية الى تلك الغايات الشريفة التي يسعى اليها  
كل من عرف معنى الانسانية وذاق لذة الفضيلة . فسلامة

العقل لا تتم الا بحسن الوراثة وحسن التربية وهذا ما جعل العلماء ينسبون اليوم كل فساد في الاخلاق الى مرض في المنخ او في الاعصاب موروث او مكتسب . وان شوهه ان الولد لا يشابه ابويه في بعض الاحوال فذلك انما لان قانون الوراثة قد يرجعه الى حد اسلافه القريبين

متى حسنت التربية على الوجه الذي ذكرناه ضعف الاستعداد الذي كسبه الطفل من والديه ان كان رديئاً وتاصل فيه استعداد جديد يرثه عنه من يتولد منه ويقوى فيه ذلك الاستعداد ان كان حسناً فيبلغ غاية ما يرجى لانسان فاضل من ابوين فاضلين ويظهر اثر ذلك ايضاً في اولاده وأعتابه ان استمر نظام التربية فيهم على الوجه الذي صار به هذا الوالد رجلاً صالحاً . اما ان كانت التربية فاسدة وكل ما يرد على الطفل انما يشير فيه أهواء باطلة فالاستعداد اخيبت يقوى والاستعداد الطيب يضمحل ويموت ويجني على اولاده تلك الجناية التي جناها عليه والده

قال الغزالي في التربية عبارة جميلة مختصرة اشتهبت ان أوردها هنا وهي : الصبي امانة عند والديه . وقلبه الطاهر



جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش . ومائل الى كل ما يمال اليه به . فان عود الخير عليه وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب . وان عود الشر وأهمل أهمل البهائم شقي وهلاك وكان الوزر في رقبة القيم عليه الوالي له . وقد قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا »

والتربية تنحصر في أمر واحد هو تعويد الطفل على حسن الفعل وتحمية نفسه بجميل الخصال . والوسيلة الى ذلك واحدة هي ان يشاهد الطفل آثار هذه الاخلاق حوله . لان التقليد في غريزة الطفل يكتسب به كل ما تلزم معرفته . فان كانت الام جاهلة تركت وادها لنفسه يفعل ما يزينه له عقله الصغير وشهواته الكبيرة . ويرى من الاعمال ما لا ينطبق على محاسن الادب فيتخاق بالاخلاق الفاسدة ويعتاد العوائد الناصدة

ويرى الاسوة السيئة في بيته وفي الخارج وكلما تقدم في السن رسخت فيه هذه الاخلاق وكبرت معه بكمبره . فاذا

وصل الى سن الرجولية رأى نفسه أو رآه الناس رجلاً سيئ التريية ولا سبيل له بعد ذلك الى اصلاح نفسه مهما كانت ارادته ومعارفه وعقله . ويندر جداً ان يوجد شخص يبتديء بعد بلوغه سن الرجوية فى اصلاح ما فسد من ملكاته ثم ينجح فى ذلك . اللهم الا الى حد محدود

ومن المعلوم ان الطفل لا يعيش من طفوليته الى سن التمييز الا بين النساء . فهو دائماً محاط بأمه واخوته وعماته وخالاته وخادماتهن وصواحبتهن ويرى أباه فى أوقات قليلة . فاذا كان هذا الوسط الذي ينشأ فيه طيباً كانت تربيته طيبة وان كان سيئاً ساءت تربيته . والأم الجاهلة ليس فى استطاعتها ان تصبغ نفس ولدها بصبغة الصفات الجيلة لانها لا تعرفها . وغاية ما تستطيع هو انها تدعه يلتقط الخلال الرديئة بما يعرض له ان لم تبذر بيدها حبوبها فى نفسه وتغرس فيها الملكات السيئة أليس من جهل الأم بقوانين الصحة ان تهمل ولدها من النظافة فيعلوها الوسخ وتتركه ممتشرداً فى الطريق والأزقة يتمرغ فى الاتربة كما تتمرغ صغار الحيوانات؟ أليس من جهلها ان تدعه كسلان يفر من العمل ويضيع وقته الذي هو رأس ماله

مضطرباً أو نائماً أو لاهياً مع ان سن الطفولية لا يعرف الكسل وهو سن النشاط والعمل والحركة؟ أليس من أثر جهلها اننا جميعاً مصابون بشلل في أعصابنا حتى صرنا لانتأثر من شيء مهما بلغ في الحسن والتقبح . فاذا رأينا عملاً جميلاً مدحناه من طرف اللسان . واذا شاهدنا فعلاً قبيحاً استهجنناه بهز الرؤوس وظاهر من القول بدون ان نشعر بانبعاث باطني يقهرنا على الاندفاع الى الاول ولا على الابتعاد عن الثاني؟ أليس من جهلها ان تسلك في تأديب ولدها طريق الاخافة بالجن والعناريت . وان تأخذ من وسائل صيانتهم ووقايتهم من المضرات تعليق التعاويد والطواف به حول القبور وفي زوايا الاضرحة وغير ذلك مما لا يبالي به الجاهلون بأصول الدين وفضائل الاعمال وله من الأثر السيء في أنفس الناشئين بل وفي أرواح الرجال ما يجر الى كل شر ويبعد عن كل خير؟

قد صار من المقرر عندنا ان الامهات لا يفاجن في تربية الاولاد حتى صار من المثل في الحطة وردة السير ان يقال فلان تربية امرأة — على اننا نرى ان تربية المرأة في البلاد الغربية تفوق تربية الرجال . وان أحسن الناس تربية هم من



ساعدهم الدهر في ان تتولى تربيتهم امرأة. وليس هذا بغريب فان المرأة تمتاز على الرجل بفرائز طبيعية هي بها أقوى استعداداً للنجاح في التربية. ذلك انها أصبر من الرجل فيما تحب. وانها ألطف منه في المعاملة وأرق منه في العواطف والاحساسات. ويفتخر الغربيون بتأثير النساء في أحوالهم حتى بعد بلوغ رشدهم. فقد قرأت في أحد كتب رونان الفيلسوف الشهير ما محصله: « أن أجمل ما وضعه مؤلفاته كان الهاماً من أخته » وقال الفونس دوديه الكاتب المجيد في بعض ما كتبه: « ان كنت استحق فخراً فلأمرأتي نصفه وأمثال هذه الشواهد كثيرة يعلمها كل من اطلع على أحوال الاوروباويين. وكلها تدل على ان تربية المرأة امر لا يُستغنى عنه. وان القسم الاعظم منها منوط بالمرأة

وقد نجد في هدى نبينا صلى الله عليه وسلم ما يشير الى ذلك. بل كان يجب ان يعد أصلاً من الاصول التي تركز اليها في بناء أمورنا المليية حيث قال في شأن عائشة رضی الله عنها: « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » : وعائشة امرأة لم تؤيد بوحى ولا بمعجزة وانما سمعت فوعت وعادت فتعلمت

أود ان كل مصري يرى ان مشكلة التربية عندنا هي أم سائر المسائل وان كل مشكلة غيرها مهما كانت أهميتها داخلة فيها

عرف المصريون بعوائدواخلاق استفادوها من حوادث تاريخية ليس هذا محل ذكرها . تلك العوائد والاخلاق ليست معروفة في الدين ولا هي موافقة لما يستحسنه العقلاء حتى من المصريين انفسهم وقل ما يشاهد مثلها عند غيرهم

وقد آن الوقت على ما أظن لتربية نفوسنا تربية صحيحة متينة علمية . تربية تنشيء رجالاً أولي علم وأصالة رأي يجمعون بين المعارف والاخلاق والعلم والعمل . تربية تنقذنا من جميع العيوب التي يقذفنا بها الاجنبي في كل يوم وبكل لسان كلها ترجع . هما لختلفت في الاسم الى سبب واحد وهو النقص في تربية نفوسنا . وقد اتفق جميع اهل النظر في مصر على ان التربية هي الدواء الوحيد لذلك الداء . وانتشر هذا الرأي الصائب في السكتب والجرائد واحاديث المجالس حتى صرح ان يقال انه اصبح رأياً عاماً . وتولد عن ذلك شعور بان مستقبل الامة تابع لتربيتها

ولكن ارى همم الناس موجهة الى التعليم ولا ارى احداً يلتفت الى تربية النفوس. وارى ان الحرص على التعليم منحصر في تعليم الذكور. مع ان تهذيب الاخلاق مقدم على التعليم وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور

ولست ممن يطلب المساواة بين المرأة والرجل في التعليم فذلك غير ضروري. وانما اطلب الآن ولا اتردد في الطلب ان توجد هذه المساواة في التعليم الابتدائي على الاقل. وان يعتنى بتعليمهم الى هذا الحد مثل ما يعتنى بتعليم البنين

أما ما يتعلبه بعض البنات الآن فاره غير كاف. لانهن يتعلمن القراءة والكتابة بالعربية وبلغاة اجنبية وشيئاً من الخياطة والتطريز والموسيقى ولا يتعلمن من العلوم ما يستفدن منه فائدة يلتفت اليها. وربما زادت هن تلك المعارف غروراً بانفسهن فتظن الواحدة منهن انها متى عرفت ان تقول نهارك سعيد باللغة الفرنسية فقد فاقت اترابها وارتفع شأنها وسما عقلها. ولا تتنازل بعد ذلك لان تشتغل بعمل من الاعمال المنزلية. فتقضي حياتها في تلاوة اقاصيص وحكايات قل ما تنيد الا في اثاره صور من الخيالات تطوف بها وتمثل لها عالماً لطيفاً تسرح فيه



طرفها وهي شاخصة الى دخان السيجارة التي تقبض عليها  
 اكثر ما تعرفه المرأة التي يتال الآن انها متعلمة هو  
 القراءة والكتابة وهذه واسطة من وسائط التعليم وليست  
 غاية ينتهي اليها. وما بقي من معارفها فهي قشور تجمعها الحافضة  
 في ريعان العمر ثم تنفلت منها واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى  
 شيء. اين هذه القشور من الحقائق العلية التي يتغذى منها  
 العقل ويتقوى بها على مطاردة الوهم ! لا شيء ينفع الانسان  
 مثل اكتسابه ما يسمى عقلا عمالياً. اريد بذلك ما يقابل التخيل  
 الذي يعيش به صاحبه في اوهام وهو اجس لا ترجع الى حق  
 ثابت. فان كل مصائب الانسان تأتي له من باب واحد وهو  
 الخيال : كلما تجرد الانسان عن الاوهام والخيالات قرب من  
 السعادة ويبعد عنها بقدر ما يبعد عن الحقيقة .

الحقيقة هي ضالة الانسان في العالم ويجب عليه ان يسعى  
 وراعها بلا قصور ولا تعب . الحقيقة هي الكنز الذي أودع  
 الله فيه كل آمال الانسان لا يجدها الا من رغب فيها ومال  
 عن سواها . الحقيقة هي مشرق السعادة لانها الوسيلة وحدها  
 لوصول الانسان الى كمال العقل والنفس . والنساء مثل الرجال

في الحاجة الى معرفة الحقيقة والى اكتساب عقل يحكم على نفوسهن ويرشدهن في الحياة الى الاعمال الطيبة النافعة

أنظر الى الطفل تجده يشتهي وينفر ويحب ويكره ويفرح ويحزن ويضحك ويبكي ويسكن ويغضب وهو في كل ذلك

انما يفعل بحس وينبعت بوهم وينقاد الى خيال . واذا اراد شيئاً فضع عنه لم يستعمل للوصول الى غرضه الا شيئاً من الغش والمكر والكذب . لم ذلك ؟ لان عقله ضعيف ومعارفه

قليلة . ولم تصل قواه العقلية الى درجة تتمكن فيها من القياس

والموازنة بين الاعمال والرغائب والآلام حتى تحمله على الصبر

أحياناً وطلب المرغوب من أبوابه ووسائله الصحيحة أحياناً

أخرى : والمرأة الجاهلة مثلاً مثل الطفل . فيما ذكرنا

سلب الرجال ثقتهم من النساء واعتقدوا انهن أعوان

ابليس . فلا تسمع الا ذمًا لخصالهن وتنقيصاً لعقابهن وتحذيراً

من مكرهن . وانا لا ابرىء النساء الا ان من هذه الصفات .

واكن ارى ان التبعة ليست عليهن بل على الرجال

هل صنعنا شيئاً لتحسين حال المرأة ؟ هل قننا بما فرضه

علينا العقل والشرع من تربية نفسها وتهذيب أخلاقها وتثقيف

عقلها؟ أيجوز ان نترك نساءنا في حالة لا تمتاز عن حالة الانعام  
أيصح أن يعيش النصف من أمتنا في ظلمات من الجهل بعضها  
فوق بعض لا يعرفن فيها شيئاً مما يمر حولهن كما في الكتاب  
صم بكم عمي فهم لا يعقلون! أليس بينهن أمهاتنا وبناتنا و اخواتنا  
وزوجاتنا. وهن زينة حياتنا الدنيا والجزء الذي لا يمكن فصله  
منا دمننا من دمهن<sup>١</sup> ولحمنا من لحمهن<sup>٢</sup>؟ أليس الرجال من النساء،  
والنساء من الرجال وهن نحن ونحن هن؟ أيتم كمال الرجل اذا  
كانت المرأة ناقصة؟ وهل يسعد الرجال الا بالنساء؟

نحن حرمانا أنفسنا من أكبر لذة في الدنيا وهي التمتع  
بمحبة ذوي القربى من النساء

كل منا يذوق حلاوة الساعات التي تمر به بدون ان  
يشعر بها حينما يطول الحديث بينه وبين صديق له وتختلط  
أنفسنا بعضها ببعض حتى يذهل كل عن أيهما يتكلم وأيهما  
يسمع. فهذا السرور يتضاعف بلا شك اذا وجد هذا التوافق  
بين رجل وأمه أو اخته أو زوجته. ولكن يحول الآن بيننا  
وبينهن عدم التوافق بين عقولنا وعقولهن ونفوسنا ونفوسهن  
ولهذا فانا نشفق عليهن ونحن اليهن ونعذرهن، ولكن لا تكمل



محبتنا لهن لان الحب التام هو ذلك التوافق . وهو معدوم  
والانسان محتاج الى ان يسكون محباً وان يكون محبوباً  
ومن فضل الله عليه ان وضع بجانبه امهات وزوجات وغرس  
في قلوبهن محبته وفي قلبه محبتهن وهذه اكبر نعمة من الله علينا  
بها لان هذه المحبة النقية الطاهرة السكاملة اذا صرفت فيما  
وضعت له كانت المسلية لنا في سجن الحياة وهونت علينا  
الآلام والمصائب التي لولا هذه التسلية لافضت في بعض  
الاقوات بأقوى رجل منا الى اليأس . فعدم تقديرها قدرها  
وانصراف العناية عن تنميتها وتكميلها كثر ان بنعم الله وتقصير  
في شكره

بقي علينا ان ندفع اعتراضاً لا يمكننا السكوت عنه لانه  
في الحقيقة هو المانع الوحيد الذي اتفقت أغلب العقول على  
وضعه حاجزاً يحول بين المرأة والتعليم : وهو الخوف من ان  
التعليم يفسد أخلاقها

رسخ في اذهان الرجال ان تعليم المرأة وعفتها لا يجتمعان  
وقال الاقدمون في ذلك اقوالاً طويلة وحكايات غريبة ونوادير  
سخيفة استدلوها بها على نقصان عقل المرأة واستعدادها للغش

والحيلة . فلو تعلمت لم يزدتها التعليم الابراعة في الاحتيال  
والخدعة واسترسالا مع الشهوة . فحنونا مثلهم واعتقدنا ان  
التعليم يزيد تفننها في المكر ويعطيها سلاحا جديداً تقوى به  
طبيعتها الخبيثة على ارتكاب المفسد

اما ان المرأة الآن ناقصة العقل شديدة الحيلة فهذا مما لا  
يختلف فيه اثنان . وقد بينا ان هذه الحالة هي اثر من آثار الجهل  
والانحطاط اللذين عاشت فيهما اجيالاً طويلة . وانه متى زال  
السبب فلا شك ان المسبب يتبعه . واما كون التعليم يفسد  
اخلاقها فهذا ننكره ونشدد النكير عليه فان التعليم — خصوصاً  
اذا كان مصحوباً بتهديب الاخلاق — يرفع المرأة ويرد اليها  
مرتبها واعتبارها ويكمل عقلها ويسمح لها ان تفكر وتتأمل  
وتتبصر في اعمالها . وان وقع ان امرأة تعرف القراءة والكتابة  
حادت عن الطريق المستقيم وخاطبت حبيبها بالرسائل الغرامية  
فقد وقع ان الوفاً من النساء الجاهلات دنسن عروضهن وكان  
الرسول يبينهن وبين رفيقهن خادم او خادمة او دلالة او  
جارية عجوز

والحقيقة ان طهارة القلب في الغرائز والطباع . فان كانت

المرأة صالحة زادها علمها صلاحاً وتقوى . وان كانت فاجرة لم يزدتها العلم فجوراً . وهكذا الحال في الرجال . وضلال فريق من الناس بضرب من ضروب التعليم لا يمنع من تعاطيه . فقد قال الله في شأن كتابه: «يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به الا الفاسقين»

فاتر التعليم لا يمكن ان يكون ضرراً محضاً . ولا يمكن ان يكون منشئاً حقيقياً لضرر . والمرأة المتعمدة تخشى عواقب الامور اكثر مما تخشاه الجاهلة ولا تقدم بسهولة على ما يضر بحسن سمعتها . بخلاف الجاهلة فان من اخلاقها الطيش والخفة . واذكر ملاحظة واحدة تؤيد ما قدمته وهو ان نساء الافرنج على العموم . هما كان حالهن في الباطن يحافظن على الضواهر فيعيش الواحد بين رجل وامرأة يحب بعضهما بعضاً اياماً واشهرآً ولا يكاد تقع منهما هفوة تظاهر ما كان خافياً بينهما وتراهن في الطريق سائرات مرتديات بجلايب الجد والسكينة والوقار يغضن ابصارهن عن الرجال وان نظرن اليهم فمن طرف خفي . اما نساؤنا العفيفات فيغلب فيهن ان يكون باطنهن خيراً من ظاهرهن ومتى رأت الواحدة منهن رجلاً نظرت اليه



وتأملته والتفتت نحوه ولوت عنقها اليه ولا شعور لها بأن مثل هذه الحركات التي تصدر منها من غير تمييز تخل بشأنها وتخط من قيمتها واعتبارها . أما الفريق الآخر من النساء في بلادنا ممن طرحن العفة وجرين مع الشهوة فلا تسلم عما يصدر منهن في الطارق والمجتمعات العامة من الامور المخلة بالاداب التي يستحي القلم عن ان يجري برسمها : هذا الفريق من الاجانب يصعب تمييزه عن الخرائر الا ببعض امور يعرفها أهل الخلاعة

ثم ان البطالة التي ألفتها نفوس النساء عندنا وصارت كأنها من لوازم حياتهن هي ام الرذائل . ان كان نساؤنا لا يعملن شيئاً في المنازل ولا يحترفن بصنعة ولا يعرفن فناً ولا يشتغلن بعلم ولا يقرأن كتاباً ولا يعبدن الله فبماذا يشتغلن حينئذ ؟ اقول لك و أنت تعلم مثلي ان ما يشغل امرأة الغني والفقير والعالم والجاهل والسيد والخادم هو أمر واحد يتفرع الى مالا نهاية له ويتشكل في كل آن بشكل جديد وهو ينبوع رضاها او سخطها على حسب الاحوال . ذلك الامر هو علاقتها مع زوجها . فتارة تتخيل انه يكرهها . وتارة تظن انه يحبها . واحياناً تقارنه بازواج جاراتها فيخرج من هذا الامتحان الصعب كاسباً

او خاسراً واحياناً تجرب ميله لتعلم هل تغير او هو باق. واحياناً تدبر طريقة لتغيير قلبه على ذوي قرابته لتتزع منه محبتهم ان كان ودوداً لهم . ولا تغفل عن مراقبة سلوكه مع الخادومات وتراقب لحظاته عند دخول الزائرات وتجعله دائماً موضوع الشك . ومن وسائل الاحتياط ان لا تقبل الخادمة الا اذا كانت من شناعة الصورة وقبح المنظر وبشاعة الهيئة بحيث يطمئن قلبها وتأمين ميل زوجها اليها . ولا تستريح من هذا الشاغل الا اذا افرغته في اذن اخرى من امثالها . فاذا فرغت من تصويره في العبارات رجعت الى تمثيله في الخيالات وهكذا . ولهذا ترى اذا اجتمعت مع جاراتها وصواحباتها تصاعدت مع دخان السجائر وبخار القهوة زفراتها وارتفع صوتها فتقص ما بينها وبين زوجها واقارب زوجها واصحاب زوجها وحزنها وفرحها وهمها وسرورها وتفرغ كل ما في صدرها حتى لا يبقى سر من اسرارها — ولو كان متعلقاً بالفرش — الا وقد اخبرت به

هذا اذا كانت المرأة محبة لزوجها . أما اذا كانت لا تميل لزوجها أو كانت غير متزوجة فأكرر سؤالي بماذا تشتغل

حينئذ، أما الأولى فإنها تفتكر في طريقة للخلاص من زوجها  
والبحث عن سواه . أما الثانية فاعظم ههنا ان تشتغل كذلك  
بالبحث عن زوج اياً كان ولا تضيع وقتها في حسن انتقاء الرجل  
الذي يصح ان يكون لها زوجا فإنها انما تطلب رجلا . ومن  
البيهي ان المرأة التي يكون هذا حالها ان كانت فاسدة الاخلاق  
ووجدت فرصة لا تتأخر عن انتهازها ولا تكلف نفسها عناء  
البحث عن صفات الرجل الذي تريد ان تقدم له افضل شيء  
لديها وهو نفسها

وعلى خلاف ذلك يكون امر النساء المتعلمات . اذا جرى  
القدر عليهن بامر مما لا يحل لهن لم يكن ذلك الا بعد محبة  
شديدة يسبقها علم تام باحوال المحبوب وشماله وصفاته فتختاره  
من بين مئات وألوف ممن تراهم في كل وقت وهي تحاذر ان  
تضع ثقتها في شخص لا يكون اهلا لها ولا تسلم نفسها الا بعد  
مناخاة يختلف زمنها وقوة الدفاع فيها على حسب الامزجة .  
وهي في كل حال تستتر بظاهر من التعفف وتحفي ما في نفسها  
عن اخص الناس بها

والعول في كل ذلك هو كما ذكرته فيما مضى على الاخلاق



التي نشأت عليها المرأة في تربيتها الابتدائية . فان اعتادت على ان تشغل اوقاتها بالمطالعة ومزاولة الاعمال المنزلية بين اهل وعشيرة رأت فيهم اسوة الجد والاستقامة وغاب من بينهم كل ما يؤثر في مشاعرهما اثرًا غير صالح او يهيج حسها الى امر غير لائق وتعودت على ان تقيم من عقولها كما على قواها الحسية كان من النادر ان تحيد عن الطريق المستقيم وان تلقى بنفسها في غمرات الشهوات التي لا تسلم معها كانت من اخطر والعذاب والندم

وبالجملة فانا نرى ان تربية العقل والاخلاق تصون المرأة ولا يصونها الجهل . بل هي الوسيلة العظمى لان يكون في الامة نساء يعرفن قيمة الشرف وطرق المحافظة عليه . وأرى ان من يعتمد على جهل امرأته مثله كمثل اعمى يقود اعمى مصيرهما ان يقعوا في اول حفرة تصادفهما في الطريق



## هـ باب الفساء

سبق لي البحث في الحجاب بوجه اجمالى في كتاب نشرته  
باللغة الفرنسية من اربع سنين مضت رداً على الدوك داركور  
وبينت هناك اهم المزأيا التي سمح لي المقام بذكرها ولو لکن لم  
اتكلم فيما هو الحجاب ولا في الحد الذي يجب ان يكون عليه  
وهنا اقصد ان اتكلم في ذلك

ربما يتوهم ناظر اني أرى الآن رفع الحجاب بالمرّة .  
لكن الحقيقة غير ذلك . فاني لا ازال ادافع عن الحجاب  
واعتبره أصلاً من أصول الاداب التي يلزم التمسك بها . غير  
اني اطلب ان يكون منطبقاً على ما جاء في الشريعة الاسلامية .  
وهو على ما في تلك الشريعة يخالف ما تعارفه الناس عندنا لما  
عرض عليهم من حب المغالاة في الاحتياط والمبالغة فيما يظنونه  
عملاً بالاحكام حتى تجاوزوا حدود الشريعة وأضروا بمنافع الامة

والذي أراه في هذا الموضوع هو ان الغربيين قد غلوا في اباحة التكشف للنساء الى درجة يصعب معها ان تتصون المرأة من التعرض لمشارت الشهوة ولا ترضاه عاطفة الحياء. وقد تغالينا نحن في طلب التحجب والتخرج من ظهور النساء لأعين الرجال حتى صيرنا المرأة أداة من الادوات أو متاعاً من المقتنيات وحرمانها من كل المزايا العقلية والادبية التي أعدت لها بمقتضى الفطرة الانسانية . وبين هذين الطرفين وسط سنينيه — هو الحجاب الشرعي — وهو الذي أدعو اليه

اني أشعر أن القاريء الذي سار معي الى هذه النقطة وتبعني فيما دعوته اليه من وجوب تربية النساء ربما يستجمع قواه لمقاومتي فيما أطلب من الرجوع بالحجاب الى الحد الشرعي ويستنجد جميع الاوهام التي خزنها في ذهنه أجيالاً طويلة ليدافع عن العادة الراسخة الآن . ولكن مهما استجمع من قوة الدفاع عنها ومهما بذل من الجهد للمحافظة عليها فلا سبيل الى ان تبقى زمناً طويلاً

ماذا تفيد الشجاعة والثبات في المحافظة على بناء آل امره الى الخراب والتهدم وقد انقض اساسه وانحلت مواده ووصل



حاله من الاضمحلال الى انك ترى في كل سنة تمر جزءاً منه  
ينهار من نفسه؟ أليس هذا كانه صحيحاً؟ أليس حقاً ان الحجاب  
في هذه السنين الاخيرة ليس كما كان من عشرين سنة؟ أليس  
من المشاهد ان النساء في كثير من العائلات يخرجهن  
لقضاء حاجتهن ويتعاملن بانفسهن مع الرجال فيما  
يتعلق بشؤونهن ويطلبن ترويح النفس حيث يصفو الجو  
ويطيب الهواء ويصحبن ازواجهن في اسفارهم. ونرى ان  
هذا التغير حدث في عائلات كانت أشد الطبقات تحرجاً من  
ظهور النساء؟ اذا قارنا بين ما نشاهد اليوم وبين ما كان عليه  
النساء من عهد ايس بالبعيد عنا حيث كان يشين المرأة ان تخرج  
من بيت زوجها. وان يرى طولها اجنبي وكان اذا عرض  
للمرأة سفر اتخذ كل احتياط ليكون سفرها ليلا حتى لا يراها  
احد من الناس. وحيث كانت ام الرجل او اخته او بنته  
تستحي ان تجلس معه على مائدة واحدة — اذا قارنا بين هذا  
وذاك نجد بلا شك ان هذه العادة آخذة في الزوال من نفسها  
وكل من عرف التاريخ يعلم ان الحجاب دور من الادوار  
التاريخية لحياة المرأة في العالم. قال لاروس تحت كلمة خمار:

« كانت نساء اليونان يستعملن الخمار اذا خرجن ويخفين وجوههن بطرف منه كما هو الآن عند الامم الشرقية ». وقال : تراك الدين المسيحي للنساء خمارهن وحافظ عليه عند ما دخل في البلاد فكان يغطين رؤوسهن اذا خرجن في الطريق وفي وقت الصلاة . وكانت النساء تستعملن الخمار في القرون الوسطى خصوصاً في القرن التاسع . فكان الخمار يحيط باكتاف المرأة ويجر على الارض تقريباً . واستمر كذلك الى القرن الثالث عشر حيث صارت النساء تخفف منه الى ان صار كما هو الآن نسيجاً خفيفاً يستعمل لحماية الوجه من التراب والبرد . ولكن بقي بعد ذلك بزمن في اسبانيا وفي بلاد امريكا التي كانت تابعة لها »

ومن هذا يرى القاريء ان الحجاب الموجود عندنا ليس خاصاً بنا ولا ان المسلمين هم الذين استحدثوه . ولكنه كان عادة معروفة عند كل الامم تقريباً ثم تلاشت طوعاً لمقتضيات الاجتماع وجرياً على سنة التقدم والترقي . وهذه المسألة المهمة يلزم البحث فيها من جهتها الدينية والاجتماعية :

## ١

## الجهة الدينية

لو ان في الشريعة الاسلامية نصوصاً تقضي بالحجاب على ما هو معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب عليّ اجتناب البحث فيه ولما كتبت حرفاً يخالف تلك النصوص وهما كانت مضرة في ظاهر الامر لان الاوامر الالهية يجب الاذعان لها بدون بحث ولا مناقشة لكننا لا نجد نصاً في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة وانما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الامم فاستحسنوها وأخذوا بها وبالغوا فيها وأبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين والدين براء منها. ولذلك لا نرى مانعاً من البحث فيها بل نرى من الواجب ان نلم بها ونبين حكم الشريعة في شأنها وحاجة الناس الى تغييرها جاء في الكتاب العزيز :

« قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم .



ذلك أزكى لهم . ان الله خير بما يصنعون . وقل للمؤمنات  
 يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن  
 الا ما ظهر منها . وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين  
 زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن  
 أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني أخواتهن أو بني أخوانهن  
 أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى  
 الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات  
 النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن «

أباحت الشريعة في هذه الآية للمرأة ان تظهر بعض  
 أعضاء من جسمها أمام الاجنبي عنها غير انها لم تسم تلك المواضع  
 وقد قال العلماء انها وكلت فيهما وتعيينها الى ما كان معروفاً في  
 العادة وقت الخطاب . واتفق الأئمة على ان الوجه والكفين  
 مما شمله الاستثناء في الآية ووقع الخلاف بينهم في أعضاء  
 أخرى كالزراعين والقدمين . جاء في بن عابدين : « وعورة  
 الحرة جميع بدنها حتى شعرها النازل في الاصح خلا الوجه  
 والكفين والقدمين على المعتمد . وصوتها على الراجح وزراعيها

على المرجوح وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة كمنه وان أمن الشهوة لانه أغلظ ولذلك ثبتت به حرمة المصاهرة كما ياتي في الحظر . ولا يجوز النظر اليه بشهوة كوجه أمرد . فإنه يحرم النظر الى وجهها ووجه الامرد اذا شك في الشهوة . أما بدونها فيباح ولو جميلا» (١)

وذكر في كتاب الروض في المذهب الشافعي : «نظر الوجه واليكفين عند أمن الفتنة من المرأة للرجل وعكسه جائز . ويجوز نظر وجه المرأة عند العاملة وعند تحمل الشهادة وتكاف كشفه عند الاداء» (٢)

وجاء في تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق لعثمان بن علي الزيلعي : «وبدن الحرة عورة الا وجهها وكفها وقدميها قوله تعالى «ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها» والمراد محل زينتهن وما ظهر منها الوجه والكفان . قاله بن عباس وابن عمر . واستثنى في المختصر الاعضاء الثلاثة للابتلاء بابدانها لانه عليه الصلاة والسلام نهى المحرمة عن لبس القفازين والنقاب . ولو

كان الوجه والكفان من العورة لما حرم سترهما بالمخيط .  
وفي القدم روايتان والاصح انها ليست بعورة للابتلاء  
بابدائها» (١)

وحكم الوجه والكفين وانها ليست بعورة معروف  
كذلك عند المالكية والحنابلة . ولا تطيل الكلام بنقل  
نصوص أهل هذين المذهبين

ومما يروى عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت : « ان  
أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى عليه وسلم  
وعليها ثياب رفاق فقال لها يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض  
لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا وأشار الى وجهه وكفيه» .  
وورد أيضاً في كتاب حسن الاسوة للسيد محمد صديق حسن  
خان بهادر : « وانما رخص للمرأة في هذا القدر لأن المرأة  
لا تجد بداً من مزاوله الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف  
وجهها خصوصاً في الشهادة والمحكمة والزواج . وتضطر الى  
المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن» (٢)  
خولت الشريعة للمرأة ما للرجال من الحقوق وألقت



عليها تبعة أعمالها المدنية والجنائية فللمرأة الحق في ادارة  
أموالها والتصرف فيها بنفسها . فكيف يمكن لرجل ان  
يتعاقد معها من غير ان يراها ويتحقق شخصيتها ؟

ومن غريب وسائل التحقق ان تحضر المرأة مغلقة من  
رأسها الى قدميها أو تقف من وراء ستار أو باب ويقال للرجل  
ها هي فلانة التي تريد ان تبيعك دارها أو تقيمك وكيلا في  
زواجها مثلا . فتقول المرأة بعث أو وكلت ويكتفي بشهادة  
شاهدين من الاقارب أو الاجانب على انها هي التي باعت أو وكلت  
والحال انه ليس في هذه الاعمال ضمانة يطمئن لها أحد .  
وكثيرا ما أظهرت الوقائع القضائية سهولة استعمال الغش  
والتزوير في مثل هذه الاحوال فكم رأينا ان امرأة تزوجت  
بغير علمها وأجرت أملاكها بدون شعورها . بل تجردت من  
كل ما تملكه على جهل منها . وذلك كله ناشيء من تحجبها

وقيام الرجال دونها يحولون بينها وبين من يعاملها

كيف يمكن لامرأة محجوبة ان تتخذ صناعة أو تجارة  
للتعيش منها ان كانت فقيرة ؟ كيف يمكن لخادمة محجوبة ان  
تقوم بخدمة بمنزل فيهارجال ؟ كيف يمكن لتاجرة محجوبة ان تدير

تجارتها بين الرجال؟ كيف يتسنى لزراعة محبوبة ان تنلح أرضها  
وتحصد زرعها؟ كيف يمكن لعاملة محبوبة ان تباشر عملها اذا  
أجرت نفسها للعمل في بناء بيت أو نحوه؟

وبالجملة فقد خلق الله هذا العالم وممكن فيه النوع الانساني  
ليتمتع من منافعه بما تسمح له قواه في الوصول اليه . ووضع  
للتصرف فيه حدوداً تتبعها حقوق . وسوى في التزام الحدود  
والتمتع بالحقوق بين الرجل والمرأة من هذا النوع . ولم يقسم  
السكون بينهما قسمة أفراز . ولم يجعل جانباً من الارض للنساء  
يتمتعن بالمنافع فيه وحدهن وجانباً للرجال يعملون فيه في عزلة  
عن النساء . بل جعل متاع الحياة مشتركاً بين الصنفين  
شائعاً تحت سلطة قواهما بلا تمييز — فكيف يمكن مع هذا  
لامرأة ان تتمتع بما شاء الله ان يتمتع به مما هيأهاله بالحياة  
لواحقها من المشاعر والقوى وما عرضه عليها لتعمل فيه من  
السكون المشترك بينها وبين الرجال اذا حضر عليها ان تقع تحت  
أعين الرجال الا من كان من محارمها؟ لا ريب ان هذا مما لم  
يسمح به الشرع ولن يسمح به العقل . لهذا رأينا أن الضرورة  
أحالت الثبات على هذا الضرب من الحجاب عند أغلب

الطبقات من المساكين كما نشاهده في الخاديات والعاملات  
وسكان القرى حتى من أهل الطبقة الوسطى بل وبعض أهل  
الغلباء من أهل البادية والقرى: والكل مسلمون بل قد يكون  
الدين امكن فيهم منه في أهل المدن !

اذا وقفت المرأة في بعض مواقف القضاء خصما أو شاهدا  
كيف أنه يسوغ لها ستر وجوها ؛ مضت سنون والخصوم  
وقضاة المحاكم أنفسهم غافلون عما فيهم في هذه المسئلة متساهلون  
في رعاية الواجب فيها . فهم يقبلون أن تحضر المرأة أمامهم  
مستترة الوجه وهي مدعية أو مدعى عليها أو شاهدة وذلك  
منهم استسلاما للعوائد . وليس بخاف ما في هذا التسامح من  
الضرر الذي يصعب استمراره فيما أظن . ذلك لعدم الثقة بمعرفة  
الشخص المستتر ولما في ذلك من سهولة الغش . كل رجل  
يقف مع امرأة موقف الخصامة من هو أن يعرف تلك التي  
تخاصمه وله في ذلك فوائد كثيرة من أهمها صحة التمسك بقولها .  
ولا أظن إنه يسوغ للقاضي أن يحكم على شخص مستتر الوجه  
ولا أن يحكم له . ولا أظن أنه يسوغ له أن يستمع شاهدا كذلك .  
بل أقول أن اول واجب عليه أن يتعرف وجه الشاهد والخصم



خصوصاً في الجنايات. والافأى معنى لما أوجبه الشرع والقانون من السؤال عن اسم الشخص وسنه وصناعته ومولده؟ وماذا تفيد معرفة هذه الامور كلها اذا لم يكن معروفاً بشخصه؟ والحكمة في ان الشريعة الغراء كلفت المرأة بكشف وجهها عند تأدية الشهادة كما مر ظاهرة. وهي تمكن القاضي من التفرس في الحركات التي تبدو على الوجه والعلامات التي تظهر عليه فيقدر الشهادة بذلك قدرها

لا ريب ان ما ذكرنا من مضار التحجب يندرج في حكمة أباحة الشرع الاسلامي لكشف المرأة وجهها وكفيها — ونحن لا نريد أكثر من ذلك

واتفق أئمة المذاهب أيضاً على أنه يجوز للخاطب أن ينظر الى المرأة التي يريد أن يتزوجها. بل قالوا بنده عملاً بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لاحد الانصار: — وكان قد خطب امرأة — « أنظرت اليها » قال لا — قال: « أنظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينكما »

هذه هي نصوص القرآن وروايات الاحاديث وأقوال أئمة الفقه كلها واضحة جلية في أن الله تعالى قد أباح للمرأة كشف

وجوهها وكفيها وذلك للحكم التي لا يصعب ادراكها على كل  
من عقل

هذا حكم الشريعة الاسلامية كانه يسر لا عسر فيه لا على  
النساء ولا على الرجال . ولا يضرب بين الفريقين بحجاب لا  
يخفي ما فيه من الحرج عليهما في المعاملات والمشقة في اداء كل  
منهما ما كلف به من الاعمال سواء كان تكليفاً شرعياً أو  
تكليفاً قضت به ضرورة المعاش

أما دعوى ان ذلك من آداب المرأة فلا اخالها صحيحة  
لانه لا أصل يمكن ان ترجع اليه هذه الدعوى . وأى علاقة  
بين الادب وبين كشف الوجه وستره ؟ وعلى أي قاعدة بني  
الفرق بين الرجل والمرأة ؟ أليس الادب في الحقيقة واحداً  
بالنسبة للرجال والنساء وموضوعه الاعمال والمقاصد لا  
الاشكال والملابس ؟

وأما خوف الفتنة الذي نراه يطوف في كل سطر مما  
يكتب في هذه المسئلة تقريباً فهو أمر يتعلق بقلوب الخائتمين  
من الرجال وليس على النساء تقديره ولا هن مطالبات بمعرفته  
وعلى من يخاف الفتنة من الرجال ان يغض بصره كما انه على

من يخافها من النساء ان تغض بصرها . والوامر الواردة في الآية الكريمة موجهة الى كل من الفريقين بغض البصر على السواء . وفي هذا دلالة واضحة على ان المرأة ليست بأولى من الرجل بتغطية وجهها

عجيباً ! لم تؤمر الرجال بالتبرقع وستر وجوههم عن النساء اذا خافوا الفتنة عليهن ؟ هل اعتبرت عزيمة الرجل أضعف من عزيمة المرأة واعتبر الرجل اعجز من المرأة عن ضبط نفسه والحكم على هواه . واعتبرت المرأة أقوى منه في كل ذلك حتى أبيع للرجال أن يكشفوا وجوههم لأعين النساء .هما كان لهم من الحسن والجمال . ومنع النساء من كشف وجوههن لأعين الرجال منعاً مطلقاً خوف أن ينفلت زمام هوى النفس من سلطة عقل الرجل فيسقط في الفتنة بأية امرأة تعرضت له .هما بلغت من قبح الصورة وبشاعة الخلق ؟ ان زعم زاعم صحة هذا الاعتبار رأينا هذا اعترافاً منه بأن المرأة أكمل استعداداً من الرجل - فلم توضع حينئذ تحت رقعته في كل حال ؟ فان لم يكن هذا الاعتبار صحيحاً فلم هذا التحكم المعروف ؟



على أن البرقع والنقاب مما يزيد في خوف الفتنة . لان هذا النقاب الابيض الرقيق الذي تبدو من ورائه المحاسن وتختفي من خلفه العيوب . والبرقع الذي يختفي تحته طرف الانف والشم والشدقان ويظهر منه الجبين والحواجب والعيون والحدود والاصداغ وصفحات العنق - هذان الساتران يعدان في الحقيقة من الزينة التي تحت رغبة الناظر وتحمله على اكتشاف قليل خفي بعد الافتتان بكثير ظهر . ولو أن المرأة كانت مكشوفة الوجه لكان في مجموع خلقها ما يرد في الغالب البصر عنها ليست أسباب الفتنة ما يبدو من أعضاء المرأة الظاهرة . بل من أهم أسبابها ما يصدر عنها من الحركات في أثناء مشيها وما يبدو من الافاعيل التي ترشد عما في نفسها . والنقاب والبرقع من أشد أعوان المرأة على اظهار ما تظهر وعمل ما تعمل لتحريك الرغبة . لانهم يخفيان شخصيتها فلا تخاف أن يعرفها قريب او بعيد فيقول فلانة او بنت فلان او زوجة فلان كانت تفعل كذا . فهي تأتي كل ما تشبهه من ذلك تحت حماية ذلك البرقع وهذا النقاب . اما لو كان وجهها مكشوفاً فان نسبتها الى عائلتها او شرفها في نفسها يشعرانها الحياء والخجل ويمنعانها من ابداء

حركة او عمل يتوهم منه ادنى رغبة منها في استلفات النظر اليها  
 ولاحق ان الانتقاب والتبرقع ليسا من المشروعات  
 الاسلامية لا للتعبد ولا للادب بل هما من العادات القديمة  
 السابقة على الاسلام والباقية بعده . ويدلنا على ذلك ان هذه  
 العادة ليست معروفة في كثير من البلاد الاسلامية وانها لم  
 ترل معروفة عند اغلب الامم الشرقية التي لم تتدين بدين  
 الاسلام .

انما من مشروعات الاسلام ضرب الخمر على الجيوب  
 كما هو صريح الآية وليس في ذلك شيء من التبرقع والانتقاب  
 هذا ما يتعلق بكشف الوجه واليدين . اما ما يتعلق  
 بالحجاب بمعنى قصر المرأة في بيتها والحظر عليها ان تخاطب  
 الرجال فالسكلام فيه ينقسم الى قسمين : ما يختص بنساء النبي  
 صلى الله عليه وسلم . وما يتعلق بغيرهن من نساء المسلمين .  
 ولا اثر في الشريعة لغير هذين القسمين

اما القسم الاول فقد ورد فيه ما يأتي من الآيات :

« يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن  
 لكم . واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب .

ذلك أظهر لقلوبكم وقلوبهن . وما كان لكم ان تؤذوا رسول  
الله ولا ان تنكحوا من بعده أبداً . ان ذلكم كان عند  
الله عظيماً»

« يا نساء النبي لستن كأحد من النساء . ان اتقيتن فلا  
تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض . وقلن قولاً معروفًا  
وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلة الاولى »

ولا يوجد اختلاف في جميع كتب الفقه من أي مذهب  
كانت ولا في كتب التفسير في ان هذه النصوص الشريفة  
هي خاصة بنساء النبي صلى الله عليه وسلم . أمرهن الله سبحانه  
وتعالى بالتحجب وبين لنا سبب هذا الحكم وهو انهن لسن  
كأحد من النساء . ولما كان الخطاب خاصاً بنساء الرسول  
صلى الله عليه وسلم وكانت أسباب التنزيل خاصة بهن لا تنطبق  
على غيرهن فهذا الحجاب ليس بفرض ولا بواجب على أحد  
من نساء المسلمين (١)

وأما القسم الثاني فغاية ما ورد في كتب الفقه عنه حديث  
عن النبي صلى الله عليه وسلم نهي فيه عن الخلوة مع الاجنبي وهو:



« لا يخلون رجل بامرأة الا مع ذي محرم » قال ابن عابدين:  
 « الخلو بالاجنبية حرام الا لملازمة مديونة هربت ودخلت  
 خربة أو كانت عجوزاً شوهاء أو مجائيل - وقيل الخلو بالاجنبية  
 مكروهة كراهة تحريم. وعن أبي يوسف ليست بتحريم، (١)  
 وقال: « ان الخلو المحرمة تنفي بالمجائيل وبوجود محرم  
 أو امرأة ثقة قادرة - وهل تنفي أيضاً بوجود رجل  
 آخر لم تراه؟ (٢) »

ربما يقال ان ما فرضه الله على نساء نبيه يستحب اتباعه  
 لنساء المسلمين كافة - فنجيب أن قوله تعالى « لستن كأحد  
 من النساء » يشير الى عدم الرغبة في المساواة في هذا الحكم  
 وينبهنا الى ان في عدم الحجاب حكماً ينبغي انما اعتبارها واحترامها  
 وليس من الصواب تعطيل تلك الحكم مرضاة لاتباع الاسوة.  
 وكما يحسن التوسع فيما فيه تيسير أو تخفيف كذلك لا يجمل  
 الغلو فيما فيه تشديد وتضييق أو تعطيل لشيء من مصالح الحياة  
 وعلى هذا وردت آيات الكتاب المبين . قال تعالى : « يريد  
 بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . وقال : « ما جعل عليكم في

الدين من حرج .. وقال أيضاً: .. يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا  
 عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم... ولو كان اتباع الأسوة مطلوباً  
 في مثل هذه الحالة لما رأينا احداً خلفاء المشهورين بشدة التقوى  
 والتمسك بالسنة يجري في عائلته على ما يخالف الحجاب. وأستدل  
 على ذلك بذكر الواقعة الآتية :

بعت سلمة بن قيس برجل من قومه يخبر عمر ابن الخطاب  
 رضي الله عنه بواقعة حربية . فلما وصل ذلك الرجل الى بيت  
 عمر قال : « فاستأذنت وسأمت فأذن لي فدخلت عليه فاذا  
 هو جالس على مسح متكىء على وسادتين من ارم محشوتين  
 ليناً فنبذ اليّ باحديهما فجلست عليها واذا بهو في صفة فيها بيت  
 عليه ستير فتال : « يا ام كلثوم غداءنا فاخرجت اليه خبزة بزيت  
 في عرضها ما يح لم يدق . فقال : « يا ام كلثوم الا تخرجين الينا  
 تأكلين معنا من هذا ؟ » قالت : « اني استمع عندك حس  
 رجل » . قال : « نعم ولا اراد من اهل البلد » . قالت فذلك  
 حين عرفت انه لم يعرفني وليكن لو اردت ان اخرج الى  
 الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امراته وكما كسا الزبير  
 امراته وكما كسا طلحة امراته » - قال : « او ما يكفيك ان

يقال أم كشوم بنت علي بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين  
عمر، فقال كل فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا، (١)  
وفضلاً عن كون الشرع لا يوجب ذلك الحجاب فإنه مجرد  
عن الفائدة بل فيه مضرات شتى تأتي على أيامها في المبحث الآتي:

## ٢

## الجهة الاجتماعية

انا نطلب تخفيف الحجاب ورده الى احكام الشريعة  
الاسلامية الا لاننا نميل الى تقليد الامم الغربية في جميع أطوارها  
وعوائدها لمجرد التقليد أو للتعاقب بالجديد لانه جديد . فاننا  
نتمسك بعوائدنا الاسلامية ونحترمها ونرى أنها مزاج الأمة  
تتمسك به أعضاؤها ولسنا ممن ينظر اليها نظره الى الملابس  
يخلع ثوباً كل يوم ليلبس غيره . وانما نطلب ذلك لاننا نعتقد  
أن لرد الحجاب الى أصله الشرعي مدخلاً عظيماً في حياتها المعاشية .  
لسنا في مقام استحسان أمر واستقباح آخر لما فيه من موافقة  
الذوق أو منافرتة . وانما نحن بصدده ما به قوام حياة المرأة أو  
ما به قوام حياتنا

(١) صحيفة ٢٧١٦ تاريخ الطبري جزء خامس



كلامنا الآن في هل يلزمنا أن نعيش ونحي أو نقضي  
على أنفسنا بأن نموت ونفني؟ هل علينا أن نهتم مكاننا ونرضى  
بما وجدنا عليه آباءنا والناس من حولنا يتسابقون الى منابع  
السعادة وموارد الرفاهية ومعاودة القوة ويمرون علينا سراعا  
ونحن شاخصون اليهم اما غير شاعرين بموقفنا واما شاعرين  
ولكننا حيارى ذاهلون أو من الواجب علينا ان ننظر كيف  
تقدم الناس وتأخرنا . كيف تقووا وضعفنا . كيف سعدوا  
وشقينا ثم نرجع ابصارنا ككرة ثانية في ديننا وما كان عليه  
اسلافنا الصالحون . ثم نقضى بهم في استماع القول واتباع أحسنه  
وانتقاد الفعل والاختدابأفضله ونسير في طرق السعادة والارتقاء  
والقوة مع السائرين؟ ذلك هو الامر الخطير الذي وجهنا اليه نظرنا  
هاهي مسألة الحجاب مسألة من أهم المسائل ولها مكان  
عظيم في شؤون الأمة اذا ترك القاريء نفسه لعواطفه واستسلم  
الى عوائده ظاهر له الحجاب في مظاهر حسن لانه ألفه في صغره  
ونشأ بين المحجبات وعاش معهن حتى صار ذلك عادة مالوفة  
له . ثم أنه ورثه عن آباءه وأجداده فلا يستغربه بل يميل اليه

ميلا غريزياً ليس للعقل فيه مدخل وإنما هو حركة ميكانيكية ليس الا وأما اذا نزع من نفسه العوامل التي أحدثت فيه تلك العواطف وخلع ما البسه اياه أسلافه من أردية الوراثة وبحث في المسئلة من جميع جهاتها بحيث من لم يتأثر الا بالتجربة التي تجري في الوقائع الصحيحة وحصل انفسه رأياً من ملاحظاته الشخصية . وكان ممن تنجذب نفسه لاحق وتنبعث الى السعي للوقوف عليه وتأييده لما له عندها من المنزلة العلية والمكان الرفيع . وكان لا يغش نفسه بالتزويق والتزيين الوهميين وإنما يسمع صوت وجدانه السليم ويرجحه على كل هوى سواه مهما كانت زوجته من الممكن فيمن حواه من الناس — فعند ذلك يرى ان المرأة لا تكون ولا يمكن ان تكون وجوداً تاماً الا اذا ملكت نفسها وتمت بحريتها الممنوحة لها بمقتضى الشرع والفترة معاً ونمت ملكاتها الى اقصى درجة يمكنها ان تبلغها . ويرى ان الحجاب على ما الفناه مانع عظيم يحول بين المرأة وارتقاها وبذلك يحول بين الامة وتقدمها

بيننا عند الكلام على تربية المرأة ما لها من الزايا الجليلة والاثار الحسنة التي تترتب عليها في شؤونها نفسها وشؤون بيتها

وفي الاجتماع الذي هي فيه . وذكرنا ان من اكبر اسباب ضعف الأمة حرمانها من اعمال النساء وان تربية الطفل لا تصلح الا اذا كانت امه مربية . وقررنا ان الولد ذكراً كان او انثى لا يملك صحة ولا خلة ولا ملكة ولا عقلاً ولا عاطفة الا من طريقتين : الوراثة والتربية . واستدلنا على ان الولد يرث من امه قدر ما يرث من والده على الاقل . وان تأثير الأم في تربية الطفل بعد ولادته اعظم من تأثير ابيه . ونريد ان نبرهن هنا على ان تربية الأم نفسها لا يمكن ان تتم اذا استمر حجاب النساء على ما هو عليه الان حتى اذا انتهى القاريء من تلاوة هذا الباب رأى كيف ترتبط المسائل بعضها ببعض وكيف ان اصغرها يتوقف عليه اعظامها :

اذا اخذنا بنتاً وعلمناها كل ما يتعلمه الصبي في المدارس الابتدائية وربيناها على اخلاق حميدة ثم قصرناها في البيت ومنعناها عن مخالطة الرجال فلا شك انها تنسى بالتدريج ما تعلمته وتتغير اخلاقها على غير شعور منها وفي زمن قليل لا نجد فرقاً بينها وبين اخرى لم تتعلم اصلاً . ذلك لان المعارف التي يكسبها الانسان وهو في سن الصبا لا يحيط بدقائقها ومناسبتها ولذلك



لا يكون عاها فيها علماء تاماً كأملاً . وإنما تم له شيء من ذلك اذا بلغ سن الرجولية واستمر على مواصلة العمل والاشغال . فالصبي يحفظ أسماء الاشياء أكثر مما يفهم معانيها وأكبر فائدة يستفيد بها في هذا الطور من التعليم إنما هي التعود على العمل وحب استطلاع الحقائق والاستعداد للدراسة . فازوتف سير التعليم في هذا السن اخذت المعارف المستفادة وانتشرت من الذهن شيئاً فشيئاً وكان ما مضى من الوقت في التعليم زمناً دائماً ولما كان بين السن الذي تحجب فيه المرأة — وهو ما بين الثانية عشرة والرابعة عشرة من عمرها هو السن الذي يتبدى فيه الانتقال من الصبا الى الرجولية وتظهر فيه حاجة المرأة كما تظهر حاجة الرجل الى اختبار العالم والبحث في الحياة وما تستدعيه وهو السن الذي تظهر فيه الملكات وتظهر الميول والوجدانات . وهو السن الذي يتعلم فيه الانسان نوعاً آخر من العلم أنفس مما تعلمه في المدارس وهو علم الحياة وطريق تحسين ذلك العلم إنما هو بالاختلاط مع الناس واختبارهم واستعراف أخلاقهم وفي هذا السن يتبدى الانسان يعرف شعبه وملازمه ووطنه ودينه وحكومته . وفي هذا السن يتبدى استعداد كل شخص

وميله وكفاءته في الظهور فيندفع الى الاعمال اندفاع الماء في المنحدرات . وهو سن الآمال والرغائب والنشاط فان حجبت فيه الفتاة وانقطعت عن هذا العالم بعد ان كانت المواصلته بينه وبينها مستمرة وقف نموها بل رجعت القهقري وفقدت كل ما كان يزين نفسها ونسيت كل مهارفها وخابت كل مساعيها وضاعت آمالها وآمال الناس فيها : ولا ذنب عليها في ذلك فهي عاجزة مسكينة قضت عليها عادة سخيفة بالحرمان المؤبد من الترقى والكمال

ربما يقال ان في طوع المرأة وامكانها ان تستكمل تربيتها وتم دراستها في بيتها وهى وهم باطل . فان الرغبة في اكتساب العلم والتشوق لاستطلاع ما عليه الناس في احوالهم واعمالهم وحب استكشاف الحقائق وكل ما يستميل النفس الى المطالعة والدرس لا يتوفر للمرأة مع حجابها . ذلك لان الحجاب يحبس المرأة في دائرة ضيقة فلا ترى ولا تسمع ولا تعرف الا ما يقع فيها من سفساف الحوادث ويحول بينها وبين العالم الحي وهو عالم الفكر والحركة والعمل فلا يصل اليها منه شيء وان وصل اليها بعضه فلا يصل الا محرّفاً مقلوباً . أما اذا استمرت

المواصلات بينها وبين العالم الخارجي فإنها تكتسب بالنظر في حوادثه وتجربة ما يقع فيه من معارف غزيرة تنبت فيها من المحادثات والمعاشرات والمشاهدة والسمع ومشاركة العالم في جميع مظاهر الحياة . وقد يكفي في إعاتتها على كسب ذلك كله والانتفاع منه ما حصلته بالتعلم من المعارف الأولى وربما يمكنها ان تستغني عن تعلم تلك المعارف الأولى اذا حسنت الفطرة وجادت القرية

وعلى فرض ان المرأة يمكنها في احتياجها ان تستكمل ما نقص منها علماً وأدباً بقراءة الكتب فمن البديهي ان كل ما تحصله من الكتب يعد من قبيل الخيالات ان لم تمكنه التجربة ويؤكد العمل . ولو عاملنا اخوتها الصبيان كماعاملها وحجبتهم في البيوت حتى بلغوا سن الخامسة عشر اكانت النتيجة واحدة . بل لو اخذنا رجلاً بلغ الاربعين من عمره وحجبتاه عن العالم والزمان ان يعيش بين اربعة جدران وسط النساء والاطفال والخدم لشعر بالخطا ط تدريجي في قواه العقلية والادبية ولا بد ان يأتي يوم يجد فيه نفسه مساوياً لهم . فاذا يكون من الخطأ أن نتصور أننا متى علمنا بناتنا جاز لنا أن نحجبهن متى بلغن



سناً خصوصاً وان مجرد ذلك التعليم الاول يكفي في التوقى من الضرر . لان الضرر في الحجاب عظيم وهو ضياع ما كسبته بالتعليم وحرمانهن من الترقى في مستقبل العمر والامر في ذلك واضح لا يحتاج الى دليل . ويكفي ان يرجع الى انفسنا ونخطر ببالنا ما كنا عليه في الخامسة عشرة من عمرنا فيتبين لنا اننا كنا اشبه بالاطفال لا نكاد نعلم شيئاً من العالم ولا نعرف للحياة قيمة ولا نميز كمال التميز ما لنا وما علينا ولا تمتاز لدينا حقوقنا وواجباتنا وليس لنا عزيمة ثابتة فى مجاهدة انفسنا . وان اكبر عامل له اثر فى تكميلنا هو استمرار تعلمنا وتربية عقولنا ونفوسنا استمراراً لا انقطاع معه . وان ذلك لم يتم لنا بقراءة الكتب بل بالمشاهدة والمخالطة وتجربة الناس والحوادث

وفي الحقيقة ان تربية الانسان ليس لها سن معين تنقطع بعده ولا حد معروف تنتهي عنده . فهي لا تنال بحفظ مقدار من العلوم والمعارف يجهد الانسان نفسه فى اكتسابه فى سنين معدودة ثم يقضى حياته بعد ذلك فى الراحة

التربية ليست ذلك الشيء البسيط الذى يفهمه عامة الناس حيث يتصورون انها عبارة عن تخزين كمية من المعارف المقررة

في بروجرامات المدارس تم امتحان ثم شهادة ليس بعدها الا  
البضالة والجمود . وانما التربية هي العمل المستمر الذي تتوسل  
به النفس الى طلب الكمال من كل وجوهه . وهذا العمل لا بد  
منه في جميع ادوار الحياة حيث يبتدىء من يوم الولادة ولا  
ينتهي الا بالموت

وإذا أراد القارىء أن يتبين صحة ما أسفله من مضار الحجاب  
على وجه لا يبقى للريب معه مجال فما عليه الا أن يتقارن بين  
امرأة من أهله تعلمت و بين أخرى من أهل القرى أو من  
المتجرات في المدن لم يسبق لها تعليم . فانه يجد الاولى تحسن  
القراءة والكتابة وتتكلم بلغة أجنبية وتلاعب البيانو ولكنها  
جاهلة بأطوار الحياة بحيث لو استقلت بنفسها لعجزت عن تدبير  
أمرها وتقويم حياتها . وأن الثانية مع جهلها قد أحرزت معارف  
كثيرة اكتسبتها من المعاملات والاختبار وممارسة الأعمال  
والدعوي والحوادث التي مرت عليها وأن كل ذلك قد أفادها  
اختباراً عظيماً : فاذا تعاملتا غلبت الثانية الأولى

ومن هذا نرى اغلب نساء نصاري الشرق وان لم يتعلمن  
في المدارس اكثر مما يتعلمه بعض بناتنا الآن فهن يعرفن

لوازم الحياة لكثرة ما رأين وسمعن باختلاطهن بالرجال فقد ورد على عقولهن معان وأفكار وصور وخواطر غير ما استفدنه من الكتب فارتفعن بفضل هذا الاختلاط الى مرتبة أعلى من المرأة المسلمة المواطنة لهن مع انهن من جنس واحد واقليم واحد نرى في المرأة عندنا من الاستعداد الطبيعي ما يؤهلها لان تكون مساوية لغيرها من الانم الاخرى لكنها اليوم في حالة انحطاط شديد . وليس لذلك سبب آخر غير كوننا جردناها من العقل والشعور وهضمنا حقوقها المقررة لها ونحسنا ما قيمتها

وقد جردنا حجاب النساء الى افساد صحتهم فالزمناهن القعود في المساكن وحرمانهن الهواء والشمس وسائر انواع الرياضة البدنية والعقلية

ليس فينا من لا يعرف ان من النساء من لا يفارقن بيوتهن لا ليلا ولا نهاراً بل يلازمونها ولا يرين لهن شويكافي الوجود الاجارية أو خادمة أو زائرة تجيئها لحظات من الزمن وتنصرف عنها . ولا يرين ازواجهن الا عند النوم لانهم يقضون نهارهم في اشغالهم ويقضون الجزء العظيم من ليلهم عند جيرانهم



او في الاماكن العمومية

ليس فينا من لا يعرف ان نساء كثيرة فقدن صحتهن في هذه المعيشة المنحطة وفي هذا السجن المؤبد . وانهن عشن عليلات الجسم والروح ولم يذتن شيئاً من لذة هذه الحياة الدنيا

لذلك كان اغلب نساءنا مصاباً بالتشم وفقر الدم ومتى ولدت المرأة مرة تداعت بنيتها وذبل جسمها وظهرت عجوزاً وهي في ريعان شبابها : كل ذلك منشأه خوف الرجال من الاخلال بالعفة !

على ان القول بأن الحجاب موجب العفة وعدمه مجابة الفساد قول لا يمكن الاستدلال عليه لانه لم يقم أحد الى الآن باحصاء عام يمكن ان نعرف به عدد وقائع الفحش بالضبط والدقة في البلاد التي تعيش فيها النساء تحت الحجاب وفي البلاد الاخرى التي تتمتع فيها بحريتهن . ولو فرض وقوع مثل ذلك الاحصاء لما قام دليلا على الاثبات أو النفي في المسئلة لان ازدياد الفساد في البلاد ونقصه مما يرتبط بامور كثيرة ليس الحجاب اهمها ومن المعروف ان لطرق معيشة الامة ومزاجها واقليمها

وآدابها وتربيتها دخلا عظيماً في فساد أخلاقها وصلاحتها. ولهذا نرى الفساد يختلف في بلاد أوروبا بين بلد وآخر اختلافاً ظاهراً ونرى أيضاً مثل هذا الاختلاف بين البلاد التي لا تزال فيها عادة الحجاب باقية. بل نرى اختلافاً كبيراً بين زمن وزمن في بلد واحد. والتجارب ترشد إلى امر يمكن أخذه دليلاً على ان الاطلاق أدنى بالنساء إلى العفة من الحجاب فمن المشاهد الذي لا جدال فيه أن نساء أمريكا هن أكثر نساء الأرض تمتعاً بالحرية وهن أكثرهن اختلاطاً بالرجال حتى أن البنات في صباهن يتعلمن مع الصبيان في مدرسة واحدة فتتعهد البنات بحجاب الصبي لتلقي العلوم. ومع هذا يقول المطلعون على أحوال أمريكا أن نساءها أحفظ للأعراض وأقوم أخلاقاً من غيرهن وينسبون صلاحهن إلى شدة الاختلاط بين الصنفين من الرجال والنساء في جميع أدوار الحياة. ومن المشاهد الذي لا نزاع فيه أيضاً ان نساء العرب ونساء القرى المصرية مع اختلاطهن بالرجال على ما يشبه الاختلاط في أوروبا بتقريباً أقل ميلاً للفساد من ساكنات المدن اللائي لم يمنعهن الحجاب من مطاوعة الشهوات والانغماس في المناسد. وهذا مما يحمل على

الاعتقاد بأن المرأة التي تخالط الرجال تكون أبعد عن الأفكار السيئة من المرأة المحجوبة. والنسب في ذلك أن الأولى تعودت رؤية الرجال وسماع كلامهم فإذا رأت رجلاً أياً كان لم يجرأ منظره فيها شيئاً من الشهوة. بل لو عرض عليها شيء من هذا فانما يكون بعد مصاحبة طويلة وقضاء أوقات في خلوات كثيرة يحدث فيها ما قد يشعر كل واحد منهما بانجذاب إلى الآخر: وهذا هو ما منعه الشريعة وبيننا امتنائه فيما سبق. أما الثانية فمجرد وقوع نظرها على رجل يحدث في نفسها خاطر اختلاف الصنف من غير شعور ولا تعمد ولا نية سيئة. وإنما هو أثر منظر الرجل الأجنبي لأنه قد وقر في نفسها أن لا تراه ولا يراها فمجرد النظر إليه كاف في إثارة هذا الخاطر

وقد شاهدت مراراً كما شاهد غيري هذا الأثر عينه في الرجال. فرأيت أن الرجل الذي لم يتعود الاختلاط بالنساء ان لم يغلبه سلاخان التهذيب القوي لا تملك نفسه اذا جلس بينهن فلا تشبع عينه من النظر اليهن ومن التأمل في محاسنهن وينسى في ذلك كل أدب ولياقة وربما طلب الوسائل للمامستن بيده أو مماستن بكفته ويندفع إلى أقوال وأعمال تسمى



منها نفوس الحاضرين كأنه يظن — بل هو يظن بالفعل —  
انه لا معنى لاجتماع الرجل مع المرأة في مكان واحد الا أن يتمتع  
كل منهما بشهوة مع الآخر بخلاف الرجل الذي اعتاد على  
مخالطة النساء فانه لا يكاد يجد في نفسه أثراً من رؤيتهن أكثر  
مما يجده عند رؤية الرجال ولا يشعر بأدنى اضطراب في حواسه  
ولا في مشاعره . فمن ألزم لوازم الحجاب أنه يهيء الذهن في  
الرجال وفي النساء معاً لتخيل الشهوة بمجرد النظر أو سماع الصوت .  
وهذا يوضح لنا السبب فيما نشاهده كل يوم من أن المرأة اذا  
رأت رجلاً في الطريق أو دعتها الضرورة لمخاطبته تتصنع في  
حركاتها وصوتها ما تظن أنه يروق في عين الرجل — والرجل كذلك  
قد شاهدت وشاهد كل انسان ما يخالف ذلك في بلاد  
أوروبا وفي الاستانة وفي القرى المشرقية وبين الاعراب في البادية  
حيث يمر الرجال والنساء بعضهم بجانب بعض وكتفاً لكتف  
ولا يلتفت أحدهم الى الآخر :

ولا ريب ان استلفات الذهن دائماً الى اختلاف الصنف  
من أشد العوامل في إثارة الشهوة .

وبديهي ان المرأة التي تحافظ على شرفها وغفتها وتصون

نفسها عما يوجب العار وهي مملقة غير محجوبة لها من النضل والاجر أضعاف ما يكون للمرأة المحجوبة. فان عنفة هذه قهرية أما عنفة الاخرى فهي اختيارية والفرق كبير بينهما. ولا أدري كيف نفتخر بعنة نساءنا ونحن نعتقد أنهن مصونات بقوة الحراس واستحكام الاقفال وارتفاع الجدران ؟

أيقبل من مسجون دعواه أنه رجل طاهر لانه لم يرتكب جريمة وهو في الحبس ؟ فان كنت نساؤنا محبوسات محجوبات فكيف يمكنهن أن يتمتعن بفضيلة العفة . وما معنى أن يقال أنهن عفيفات ؟ أن العفة هي خلق النفس تمتنع به من مقارفة الشهوة مع القدرة عليها . واعل التكليف الالهي انما يتعلق بما يقع تحت الاختيار لا بما يستكره عايا من الاعمال . فالعفة التي تكلف بها النساء يجب أن تكون من كسبهن ومما يقع تحت اختيارهن لا أن يكن مستكرهات عليها والافلا ثواب لهن في مجرد الكف عن المنكر . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :  
« من عشق فعف فكنتم فمات فهو شهيد »

والحقيقة أننا نعمل عمل من يعتقد أن النساء عندنا لسن أهلاً للعفة . أليس من الغريب أن لا يوجد رجل فينا يثق

بامرأة أبدأ، هما اختبرها ووهما عاشت معه؟ أليس من العار أن نتصور أن أمهاتنا وبناتنا وزوجاتنا لا يعرفن صيانة أنفسهن؟ أيليق أن لا نثق بهؤلاء العزيزات المحبوبات الطاهرات وان نسيء الظن بهن الى هذا الحد؟

اني أسأل كل انسان خالي الغرض: هل هذه المعاملة يليق أن يعامل بها انسان له من خاصة الانسان بالنا؟ فهو مثلنا له روح ووجدان وقلب وعقل وحواس. وهل سوء الظن في المرأة الى هذا الحد يتفق مع اعتبارنا لأنفسنا واعتبار المرأة لنفسها؟

والعاقل يرى أن الاحتياط الذي يتخذه الرجال لصيانة النساء عندنا، هما بلغ من الدقة لا يفيد شيئاً ان لم يصل الرجل الى امتلاك قلب امرأته. فان ملكه ملك كل شيء منها وان لم يملكه لم يملك منها شيئاً. ذلك لانه ليس في استطاعة رجل أن يراقب حركات امرأته وسيرها في كل دقيقة تمر من الليل والنهار

متى خرج أحدنا من منزله أو سمح لامرأته ان تخرج بسبب من الاسباب فعلى م يتكلم أن لم يكن على صيانتها



وحفظها نفسها بنفسها؟ ثم ماذا يفيد الرجل أن يملك جسم امرأته وحده اذا غاب عنه قلبها؟ أيستطيع أن يمنعها أن تتصرف فيه وتبذله لاي شخص تريد؟ فاذا رأيت امرأة من الشباك رجلا فأعجبها ومالت اليه بقلبيها وودت أن توصله لحظة أفلا يعد هذا في الحقيقة من الزنا؟ ألم يتمزق حجاب العفة في هذه اللحظة؟ وهل بعد المسافة بينها وبين الرجل وعدم تمكنها من مواصلته يسمى عفة؟ نعم ان الشرائع لا تعاقب ولا تقيم الحد على زنا العين والقلب لان العقوبات والحدود لا سلطان لها على الخواطر والقلوب. ولكن في نظر أهل الادب والتقوى لا عبرة للبعد بين الاجساد اذا توصلت الارواح واجتمعت القلوب

ومع ذلك ما الذي فعل الحجاب؟ ألم نسمع بما يجري في داخل البيوت مما ينافي العفة ويخل بالشرف؟ هل منع البرقع وقصر النساء وراء الحجاب والاقفال سريان الفساد الى ما وراء تلك الحجب؟ كلا

ربما يقول قائل أن ما نسمعه اليوم عن كثير من النساء أكثر مما كنا نسمعه سابقاً وأن الاشاعات عن الفساد أشد

انتشاراً. بل ربما كان الفساد في الواقع أوسع دائرة مما كان عليه قبل ثلاثين سنة مثلاً ولا منشأ لذلك الأرقعة الحجاب. فالحالة القديمة على ما فيها كانت اصون للاعراض واحفظ لشرف المرأة من تلك الحالة التي طرأت على النساء — فنجيب عن ذلك باننا لا ننكر أن بعض الطباع الفاسدة من الرجال والنساء معاً وجدت سبيلاً من تخفيف الحجاب الى تعارف بعضها ببعض واتيان ما تميل اليه من المنكر. بل نزيد عليه أنه لو استمر تخفيف الحجاب يتقدم بالسرعة التي سار بها الى الآن — والنفوس على ما هي عليه — لعمت البلوى وازداد الفساد انتشاراً

غير أن السبب في ذلك ليس هو تخفيف الحجاب. بل هو راجع الى أمور كثيرة يجمعها الجهل وسوء التربية فسوء التربية هو علة الخفة والطيش. وهو الذي يسهل على امرأة ذات مكانة في بيتها وقومها أن تطيل نظرها الى شاب يمر في طريقها. وسوء التربية هو الذي يخفف عندها تبعه تحريك يدها لاجابة ذلك الشاب فيما يشير به اليها. وسوء التربية هو الذي يدفعها الى الاتفاق معه على التلاقي بل والتواصل

قبل أن يدور كلام بينه وبينها . وإنما أركان عقد ذلك الاتفاق هي نظرات وإشارات لا تفصح عن خلق من الاخلاق ولا عن ملكة من الملكات ولا عن درجة من العرفان ولا تدل على حالة نفسية ولا عقلية ولا جسمية يمكن الارتباط بها بين شخصين سوء التربية هو الذي يخرق كل حجاب ويفتح على المرأة من الفساد كل باب . وهو الذي يخشى معه أن تسري العدوى من امرأة الى امرأة ومن طبقة الى طبقة . فقد نرى أن المحجبات مهما بالغن في التحجب لا يستنكفن أن يختلطن بنساء أخط منهن في الدرجة وأبعد عن التصور والعنة . فسيده المنزل لا ترى بأساً في مخالطة زوجة خادمها بل قد تأنس بالحديث معها وسماع ما تنقله اليها من غير مبالاة بما يلائم الحشمة ومالا يلائمها . ولا تأنف التفتيح في القول مع الدلالات وبائعات الاقمشة . بل قد يطوحها الجهل الى الاختلاط بنسوة لا تعرف شيئاً من حالهن ولا من أي مكان أتين ولا بأي خلق من الاخلاق تخلقن . وأشنع من هذا كاله وأشد منه فعلا في افساد الاخلاق أن نساء من الموسسات اللاتي يحملن تذكرة رسميه يدعون في الافراح ويرقصن تحت أعين الامهات والبنات والكبار والصغار



هذا ما يأتي من سوء التربية وهو من أشد العوامل في  
 تمزيق ستار الادب وليست رقة الحجاب بشيء في جانب هذا كله  
 طرقت ديارنا حوادث وداخلنا ضرب من الاختلاط  
 مع أمم كثيرة من الغربيين ووجدت علائق بيننا وبينهم علمتنا  
 أنهم أرقى منا وأشد قوة . ومال ذلك بالجمهور الاغلب منا  
 الى تقليدهم في ظواهر عواندهم خصوصاً ان كان ذلك ارضاء  
 لشهوة أو اطلاقاً من قيد . فكان من ذلك أن كثيراً من أعلينا  
 تساهلوا بزواجهم ومن يتصل بهم من النساء وتسامحو الهن في  
 الخروج الى المنزهات وحضور التياترات ونحو ذلك وقلدهن  
 في ذلك كثير ممن يلهين وعرض من هذه الحالة بعض  
 فساد في الاخلاق

تلك حالة طرأت للاسباب التي تقدمت وتبعها من العواقب  
 ما بيناه . ولكن ليس من مصلحتنا بل ولا من المستطاع لنا  
 محو هذه الحالة والرجوع الى تغليظ الحجاب . بل صار من  
 متممات شؤوننا أن نحافظ عليها وننتقي تلك المضار التي نشأت  
 عنها . وذلك هو ما نستطيعه أيضاً  
 أما انه ليس من مصلحتنا أن نمحو هذه الحالة فلما قدمناه

في مضار الحجاب على الوجه المعروف . وأما أننا لا نستطيع ذلك فلان أسباب هذه الحالة مما فصلنا سابقاً لا تزال موجودة وهي تزداد بمرور الزمان رغماً عنا . ولاننا قد وجدنا من أتنسنا ميلاً الى حسن المعاملة في معاشررة النساء وزين في أنفس الكثيره منا حب الجمالة في مرضاتهن ونشأت لهن في قلوب الرجال منزلة من الاعتبار لم تكن لهن من قبل . وأحس النساء بذلك من رجالهن فبددن ما وصلن اليه من الحرية والاطلاق حقاً من الحق وضرورياً من ضروريات المعيشة : فلا يسهل على الرجل أن يقضي على امرأته اليوم بما كان يقضي به من قبل أربعين سنة

والذي يجب علينا هو معالجة المضار التي يظن أنها تنشأ عن تخفيف الحجاب . ولا توجد طريقة انجع في ذلك العلاج الا التربية التي تكون هي الحجاب المنيع والحصن الحصين بين المرأة وبين كل فساد يتوهم في أية درجة وصلت اليها من الحرية والاطلاق

سيقول معترض أن التربية والتعليم يصاحبان أخلاق المرأة واما الاطلاق فر بما زاد في فسادها . فنجيب ان الاطلاق

الذى نطالب به هو محدود يحظر الخلوة مع أجنبي . وفي هذا الحظر ما يكفي لاتقاء المناسد التي لا تتولد الا من الخلوة . أما الاطلاق في نفسه فلا يمكن أن يكون ضاراً أبداً متى كان مصحوباً بتربية صحيحة . لان التربية الصحيحة تكون أفراداً أقوياء بأنفسهم يعتمدون على انفسهم ويسيرون بأنفسهم . فمن كملت تربيته استقل بنفسه واستغنى عن غيره . ومن نقصت تربيته احتاج الى الغير في كل أموره . فالاستقلال في النساء كالاستقلال في الرجال يرفع النفس من الدنيا ويبعد بها عن الخسائس : لذلك يجب أن يكون هو الغاية التي نطلبها من تربية النساء

حسن التربية واستقلال الارادة هما العاملان في تقدم الرجال في كل زمان ومكان . وهما مطمح آمال كل أمة تسعى الى سعادتها . وهما من أشرف الوسائل لا بلاغها من الكمال ما اعدت له . فكيف يمكن لعامل ان يدعى ان لهذين العاملين اثراً آخر سيئاً في انفس النساء ؛ ومن زعم ان التربية واستقلال الارادة مما يساعد على فساد الاخلاق في المرأة فقد قصر نظره على بعض الاعتبارات التي لا يخلو منها امر من الامور



النافعة في العالم فان لكل نافع ضرراً اذا أسيء استعماله  
هذا تعليم الرجال لا يخلو من العيوب الكثيرة وكثير  
منهم يستعمل عدوه واختياره فيما يضر بنفسه أو بغيره . فهل  
ذلك يحمل أحداً من الناس على أن يقول أن من الصواب  
أن لا يعلم الرجال شيئاً خوف استعمال ما يتعلمون فيما يسؤهم أو  
يسوء غيرهم . وأن من الواجب أن يتركوا في الجهل تحت  
حجاب الغنمة ؟ لا أظن أن عاقلاً يخطر هذا خاطر بباله .  
فاذا كان اجماعنا قد انعقد على ان لا خير للرجال في الجهل  
والاستعباد . وان لا سبيل لهم الى بلوغ درجات الفضل الا  
بالعلم وحرية الفكر والعمل . فما لنا نختلف في هذه القضية تمسها  
اذا عرض ذكر المرأة ؟ وأي فرق بين الصنفين في الفطرة واخلقة ؟  
والحق انا غالبنا في اعتبار صفة العفة في النساء وفي الحرص  
عليها وفي ابتداع الوسائل لخفضها ما ظهر منها وتخميص صورتهما حتى  
جعلنا كل شيء فداءها وطلبنا أن يتضاءل ويضمحل كل خلق  
وكل ملكة دونها . نعم العفة أجمل شيء في المرأة وأبهى حلية  
تتحلى بها . ولكن العفة لا تغني شيئاً عن بقية الصفات والملكات  
التي يجب أن تتحلى نفس المرأة بها من كمال العقل وحسن التدبير

والخبرة بتربية الاولاد وحفظ نظام المعيشة في البيت والقيام على كل ما يعهد اليها من الشؤون الخاصة بها . بل نقول ان لهذه الصفات دخلا كبيرا في كمال العفة وفقدان المرأة خصلة من هذه الخصال لا ينقص في ضرره وفي الخط من شأنها عن فقدان العفة نفسها

اتفقت الشرائع الالهية والقوانين الوضعية على أن عقد الزواج وحده هو الذي يحلل الاجتماع بين الرجل والمرأة وان اجتماعهما بدون ذلك العقد المقدس ممنوع وممقوت . ذلك أمر اقتضاه نظام العشيرة وكمل النفس الانسانية فالعمل على ما يخالفه قبيح مذموم بلا ريب . غير أن تلك الشرائع الالهية والقوانين الوضعية قد حظرت اعمالا أخرى وأنزلتها من الشناعة منزلة لا تنحط عن منزلة الخنا . ووضعت عليها عقوبات أشد من العقوبة عليها لانها اعتبرت أن لتلك الاعمال من الضرر بالنظام ما هو أشد من ضرر الزنا . وانضرب مثلا بجريمة القتل فانها أعظم من جريمة الزنا في نظر الدين والقانون . فلم لم تتخذ للوقاية منها من الوسائل الضارة ما اتخذناه للوقاية من الزنا ؟ انا معرضون في كل ساعة تمر من حياتنا الى مصائب

لا تحصى وهذا لا يمنعنا من أن نتحرك ونقتحم الاخطار في الاسفار  
لنحصل من رزق الله ما نحتاج اليه . انا نشعر بانواع الجرائم  
ترتكب من حولنا فالقتل والنهب والنصب والتزوير والمظف  
وغيرها من الجرائم تزعج الساكن وتقلق المطمئن ومع ذلك  
فانا نحتمل مصائبها ونسلم لحكم القدر فيها ونجتهد في تطهير المجتمع  
منها بالوسائل المشروعة من التربية او ايقاع العقوبة على مرتكب  
الجريمة . فلم لا يكون ارتكاب الفحش من المرأة جريمة من  
هذه الجرائم التي لا يخلو منها مجتمع انساني ؟ ولم نتخيل انها  
اشنع وافظع من سواها حتى اتخذنا لمنعها ما لم نتخذها لمنع غيرها  
وعلى أي حال فليس من الجائز ان تأتي ما فيه ضرر  
محقق لنتقي به ضرراً وهمياً . فوقوع الفحش من المرأة أمر  
محتمل الوقوع قد يكون وربما لا يكون . اما حجابها ومنعها  
من التمتع بقواها الغريزية فهو ضرر محقق لاحق بها حتماً .  
ويا ليت اقتصر عليها ولكنه يتعداها الى كل ما يقع تحت رعايتها  
يتوهم احدنا ان امرأته ربما تميل الى غيره ان رفع الحجاب  
عنها فلذلك يرجعها وراء الابواب ويغلق عليها الاقفال ويظن  
بذلك انه قد استراح من الوسوس وهو لا يدري ما ربما يأتيه



من ... حيث لا يدري فلم يفده حرصه شيئاً في الحقيقة .  
ومع هذا فهو بعمله قد قتل تمساحية وأفسد نفوساً كثيرة ممن  
تتولاهن زوجته في بيته في سبيل ما يظنه راحة لنفسه  
توهم كثير ممن سبقنا مثل ما توهمنا وحببوا نساءهم  
كانحجب نساء نابل فاقونا في التفنن واتخاذ الطرق لاطمئنان  
انفسهم من ناحية زوجاتهم . واني اذكر الآن أغرب طريقة  
كانت مستعملة عند أعيان أوروبا في القرون الوسطى وهي  
ما كان يسمى عندهم بنطاق العفة . وهو نطاق من حديد  
يتصل به حنماظ ولذلك النطاق قفل يكون مفتاحه في جيب  
الرجل دائماً . ولكن هذا لم يمنع النساء من أن يمنحن عشاقهن  
مفتاحاً مصطنعاً ثم ما لبث هؤلاء الأعمى ان ادركوا خطأهم  
وعرفوا ان ضرر تلك الاوهام اكثر من نفعها . ولما أخذت  
المعارف تنتشر بينهم شرعوا في قياس اعمالهم المعاشية بمقياس  
العقل السليم والعلم الصحيح الخالص من شائبة الوهم . وادركوا  
ان سعادتهم لا تتم بما ينالون من ثمار ذلك الا اذا شاركتهم  
نساؤهم في مساعيهم وعاونهم في لم شعشعهم وتكميل نقصهم  
فاعدوهم بالترية والعلم الى ما أملاوا منهم . فافتكككن من

أسرهن وتمتعن بحريتهن وسرن مع رجالهن يعاونهم في الحياة  
ويمددهم بالرأي في كل أمر . ولست مبالغاً ان قلت ان ما  
اقامه التمدن الحديث من البناء الشاخص وما وضعه من الاصول  
الثابتة انما شيد على حجر اساسي واحد هو المرأة

لم يكن ما استفاده الغربيون من تربية نساءهم والتساهل  
لهن في مخالطتهم قاصراً على المزايا التي اشربنا اليها بل كان لهم  
مع ذلك فوائد جمة في تدبير المعيشة وتيسر طرق الاقتصاد  
تدخل بيت الغربي من اهل الطبقة الوسطى فتجده اتم  
نظاماً واكمل ترتيباً واجمل أثاثاً من بيت الشرقي من اهل  
طبقتهم . ومع ذلك تجد ثقة الغربي اقل من ثقة الشرقي بكثير  
انظر الى الواحد منا تجد مسكنه لا بد ان يكون الى  
قسمين قسم للرجال وآخر للنساء . فان اراد ان يبني بيتاً فعليه  
ان يهيء ما يكفي لبناء بيتين في الحقيقة واذا استأجر بيتاً فهو  
انما يستأجر في الواقع بيتين ويتبع ذلك ما يلزم لكل منهما  
من الاثاث والفرش . ولا بد له من فريقين من الخدم فريق  
يخدم الرجال في القسم المختص به والاخر يختص بخدمة  
النساء داخل البيت . ثم لا بد له من عربة للنساء وعربة

للرجال لانه ليس من الجائز في عرفنا أن يركب الرجل مع زوجته أو مع والدته في عربة واحدة وهو مضطر لان يزيد في النفقة للطعام وما يتبعه لانه اذا أتى ضيف واحد رجلا كان أو امرأة وجب تحضير مائتين بدل واحدة كانت تكفي . وهكذا ترى نفقات ضائعة وثمرات كسب مستهلكة ولا سبب لها الا تشديد الحجاب على النساء

هل يظن المصريون أن رجال أوروبا مع أنهم بلغوا من كمال العقل والشعور مبلغاً مكنهم من اكتشاف قوة البخار والكهرباء واستخدامها على ما نشاهده باعيننا . وأن تلك النفوس التي تخاطر في كل يوم بحياتها في طلب العلم والعالى وتفضل الشرف على لذة الحياة . هل يظنون ان تلك العقول وتلك النفوس التي نعجب بآثارها يمكن ان يغيب عنها معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفتها ! هل يظنون أن أولئك القوم يتركون الحجاب بعد تمكنه عندهم لو رأوا خيراً فيه ؟ — كلا . وانما الافراط في الحجاب من الوسائل التي تبادر عقول السذج وتركن اليها نفوسهم ولكنها يجبها كل عقل مهذب وكل شعور رقيق . متى تهذب العقل ورق الشعور ادرك الرجل أن المرأة



انسان من نوعه لها ماله وعليها ما عليه وأن لا حق لاحدهما  
على الآخر بعد توفيقه ما فرضته الشريعة على كل منهما لصاحبه  
الا ما يعطيه كل من نفسه بمحض ارادته وحسن اختياره .  
متى تهذب العقل ورق الشعور في الرجل عرف ان  
حجاب المرأة اعدام لشخصها فلا تسمح له ذمته بعد ذلك ان  
يرتكب هذه الجريمة توسلا الى ما يظنه راحة بال واطمئنان  
قلب متى تهذب العقل ورق الشعور في الزوج وجد من نفسه  
ان لا سبيل الى اطمئنان قلبه في عشرة امرأة جاهلة مهما  
كان الحائل بينها وبين الرجال

متى تهذب العقل ورق الشعور في الرجل ادرك ان الذ  
شيء تشتاق اليه نفسه هو حب يصل بينه وبين انسان مثله  
بحسن اختيار وسلامة ذوق لا بمجرد نزعات الهوى ونزوات  
الشهوة فيسعى جهده فيما يقويه ويشد عراه ويبذل ما في وسعه  
للمحافظة عليه

متى تهذب العقل ورق الشعور في الرجل والمرأة لا  
تقتنع نفوسهما بالاختلاط الجسداني وحده بل يصير اعظم  
هو هما طلب الائتلاف العقلي والوحدة الروحية

ان طبيعة العصر الذي نحن فيه منافرة للاستبداد معادية  
 للاستعباد ميالة الى سوق القوى الانسانية في طريق واحد  
 وغاية واحدة . فهذا الطائف الرحماني الذي طاف على نفوس  
 البشر فنبه منها ما كان غافلا لا بدان ينال منه النساء نصيبهن  
 فمن الواجب علينا ان تمد اليهن يد المساعدة ونعمل بقول  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله في الضعيفين المرأة  
 واليتيم » . ولا شيء ادخل في باب التقوى من تهذيب العقل  
 وتكميل النفس واعدادها بالتعليم والتربية الى مدافعة الرذائل  
 ومقاومة الشهوات ولا من حسن المعاملة والاطف في المعاشرة  
 فعلى ان نجعل الصلة بيننا وبينهن صلة محبة وراحة لا صلة اكرام  
 وقسوة . هذا ما تفرضه علينا الانسانية وتطالبنا به الشريعة  
 وهو مع ذلك فريضة وطنية يجب علينا أدائها حتى تكون  
 جميع اعضاء المجتمع عندنا حية عاملة قائمة بوظائفها

وقبل ان اختم الكلام في هذا الباب ارى من الواجب  
 على ان ابه القاريء الى اني لا اقصد رفع الحجاب الا دفعة  
 واحدة والنساء على ما هن عليه اليوم . فان هذا الانقلاب  
 ربما ينشأ عنه مفاسد حمة لا يتأتى معها الوصول الى الغرض

المطلوب كما هو الشأن في كل انقلاب جنائي. وانما الذي أميل  
اليه هو اعداد نفوس البنات في زمن الصبا الى هذا التغيير:  
فيعودن بالتدريج على الاستقلال ويودع فيهن الاعتقاد  
بان العفة ملكة في النفس لا توب يحنفي دونه الجسم. ثم  
يعودن على معاملة الرجال من اقارب واجانب مع المحافظة على  
الحدود الشرعية واصول الادب تحت ملاحظة أوليائهن.  
عند ذلك يسهل عليهن الاستمرار في معاملة الرجال بدون  
ادنى خطر يترتب على ذلك اللهم الا في احوال مستثناة لا  
تخلو منها محجة ولا بادية





## المرأة والامة

كل من تعلم من المصريين وساعده حسن الحظ على ان يستعرف أحوال أمته وحاجاتها ويحيط بها يعلم ان الامة المصرية دخلت اليوم في دور مهم بل في أهم دور من تاريخها اني لا أجد في ماضيها عصرًا انتشرت فيه المعارف وظهر فيه الشعور بالروابط الوطنية وانبث الامن والنظام في انحاء البلاد وتهيأت الاسباب للتقدم مثل العصر الذي نعيش فيه الآن . ولكنها من جهة اخرى لم يمر عليها زمن صارت فيه حياتها معرضة للخطر مثل ما هي في هذا الزمن . فان تمدن الامم الغربية يتقدم بسرعة البخار والكهرباء حتى فاض من منبعه الى جميع انحاء المسكونة فلا يكاد يوجد منها شبر الا وطئه بقدمه . وكلما دخل في مكان استولى على منابع الثروة فيه من زراعة وصناعة وتجارة . ولم يدع وسيلة من الوسائل

الا استعمالها فيما يعود عليه بالمنفعة وان اضر بجميع من حوله من سكان البقاع الاصليين . فانه انما يسعى الى السعادة في هذه الحياة الدنيا يطلبها انى وجدها وبابى طريقة يرى النجاح فيها . وهو في الغالب يستعمل قوة عقله فاذا دعت الحال الى العنف واستعمال القوة لجأ اليهما . فهو لا يطلب النخار والمجد فيما يمتلك او يستعمر لانه يجد ذلك متوفرا له في اعماله العقابية واختراعاته العلمية . وانما الذي يحمل الانكايى على ان يسكن الهند والفرنساوي الجزائر والروسي الصين والالماني زنجبار هو حب المنفعة والرغبة في تحصيل الثروة من بلاد تحتوي على كنوز لا يعرف أهلها قيمتها وطرق الاتئناع بها !

فان صادفوا أمة متوحشة مهما كان بأسها أبادوا أهلها وأهلكوهم أو أجلوهم عن أرضهم كما حصل في امريكا واستراليا وكما هو حاصل الآن في افريقيا حيث لا يرى أثر لاهالى البقاع التي احتلها الاوروباي لانهم خرجوا منها طوعاً أو كرهاً . وان صادفوا أمة كأمتنا دخل فيها نوع من المدنية من قبل ولها ماض ودين وشرائع واخلاق وعوائد وشيء من النظمات الابتدائية خالطوا أهلها وتعاملوا معهم وعاشروهم

بالمعروف . لكن لا يمضي زمن طويل الا وترى هؤلاء القادمين قد وضعوا يدهم على أهم أسباب الثروة لانهم أكثر مالاً وعقلاً وعرفاناً وقوة فيتقدمون كل يوم وكلما تقدموا في البلاد تأخر ساكنوها . هذا ما سماه داروين قانون التزاحم في الحياة فطرة الله التي فطر عليها جميع الانواع وأودعها لها لتعدها الى الرقي في درجات الكمال . فما ضعف منها عند التزاحم عن مغالبة منازعه اضمحل ونبذ الوجود الى خفاء العدم . وما قوى عند التغالب اظفره الله بالنصر المبين فيرجع من ساحات هذا القتال الدائم مبرهنناً بظفره على انه افضل بني نوعه واكرمهم فيعيش ويبقى ويتناسل وينمو ويظهر فيه كمال نوعه وتخلد به آثاره

فلا سبيل للنجاة من الاضمحلال والفناء الا طريق واحدة لا مندوحة عنها . وهي ان تستعد الامة لهذا القتال ويأخذله اهبتها وتستجمع من القوة ما يساوي القوة التي تهاجمها من أي نوع كانت : خصوصاً تلك القوة المعنوية وهي قوة العقل والعلم التي هي أساس كل قوة سواها

فاذا تعلمت الامة كما يتعلم مزاحموها . وسلكت في



التربية مسالكهم . وأخذت في الاعمال ما خذهم وتدرعت  
 للكفاح بمثل ما تدرعوا به امكنها أن تعيش بجانبهم بل تيسر  
 لها أن تسابقهم فتسبقهم فتستأثر بالخير دونهم . لأن البلاد  
 بلادها وأرضها أبر بها منها بالغريب عنها وانباءها اقدر على  
 المعيشة فيها . وهم السواد الاعظم فكيف اذا ظفروا من  
 انفسهم بتلك الحال الشريفة لا يفلحون ؟

وهذه الطريق — طريق النجاة — كما قدمت مفتوحة  
 امامنا ولا يوجد عائق يعوقنا عن السير فيها الا ما يكون من انفسنا  
 فان كان للمصريين هممة وصدق عزيمة في طلب سعادتهم  
 والمحافظة على بقائهم والسعي الى خلاصهم ونجاتهم من التهلكة  
 فعليهم ان يسلكوا تلك الطريق ويخضعوا عنهم كل عادة سيئة  
 وينزعوا من انفسهم كل خباثة ممقوتة تعطل مسيرهم . وليعتمدوا  
 على انفسهم في اصلاح انفسهم . ولا يضيعوا اوقاتهم في اماني  
 باطلاة يلتمسون تحقيقها من حكومتهم فان حكومتهم لا تستطيع  
 من العمل لهم الا قليلا . امامهم فانهم يستطيعون ان يأتوا في اصلاح  
 شؤونهم بالجهد الكثير . ماذا يفيدهم ان يقولوا كل يوم ان  
 الحكومة لم تقم بما يجب عليها ؟ أهذا يمنعنا من ان نتعل ما

يجب علينا لا نفسنا ؟

نحن اليوم متمتعون بعدل وحرية لا أظن أن مصر  
رأت ما يماثلها في أى زمن من أزمانها. وهما الامران اللذان  
تحتاج اليهما الامة أشد الاحتياج ولا يتيسر بدونهما نجاح في عمل  
من الاعمال العظيمة التي يقوم بها اصلاحها . فما علينا الا ان  
نتهز فرصة ما وصلنا اليه ونحرث ارضنا ونسقي غراسها وننتظر  
ما يأتي به من الثمرات فاذا نضجت اقتطفناها . وكما أن الزراع  
يجب عليه قبل أن يلقى البذور في الارض ان يهتم بمعرفة طبيعتها  
وما تحتاج اليه من الاعمال لتحضيرها وتهيئتها حتى لا يضيع  
ماله وتعبه كذلك يجب علينا أن نبحت في أسباب تاخرنا . فاذا  
عرفناها عمدنا الى ازالتها وصننا أنفسنا من التخبط على غير هدى  
وارحنا أنفسنا من التجارب العقيمة

وقبل الكلام فيما نريد البحث فيه نشبت هنا أمراً لا حظاه  
كل من له المام باحوال الشرق : وهو تأخر المسلمين عام  
فيه أين كانوا . فالسبب يجب ان يكون عاماً ايضاً

أما اختلاف الشعوب والأقاليم فليس له تأثير كبير في  
انحطاط المسلمين . اذ لو كان له أثر لوجد اختلاف بين التركي

والمصري والهندي والفارسي والبشناق والصيني من حيث العمران والمدنية ولكننا لا نرى اختلافاً بينهم من هذه الجهة وإنما الاختلاف محصور في بعض الصفات النفسانية وبعض العوائد . ذلك هو كل ما فعله اختلاف الشعوب والاقاليم . فالتركي مثلاً نظيف صادق شجاع والمصري على ضد ذلك الا انك تراهما رغباً عن هذا الاختلاف متفقين في الجهل والكسل والانهطاط . اذاً لا بد ان يكون بينهما امر جامع وعلّة مشتركة هي السبب الذي أوقعهما معاً في حالة واحدة ولما لم يكن هناك امر يشمل المسلمين جميعاً الا الدين ذهب جمهور الاورباويين وتبعهم قسم عظيم من نخبة المسلمين الى ان الدين هو السبب الوحيد في انهطاط المسلمين وتأخرهم عن غيرهم حتى الذين يشاركونهم في الاقليم ويساكنونهم في البلد الواحد . ولم يقصد أحد منهم خصوصاً افاضل المسلمين المشتغلين باحوال الامم الاسلامية ان يتهم الدين الاسلامي الحقيقي بانه السبب في انهطاط المسلمين . فان كل من عرف هذا الدين من الاجانب فضلاً عن ابنائه المنتسبين اليه يحل قدره ويحترمه ويعترف ان آثاره الماضية في الامم التي انتشر



بينها برهنت على انه وسيلة من أفضل الوسائل وعامل من أقوى العوامل التي تسوق الانسان في طرق الترقى والتقدم الى غايات السعادة . ولكنهم يرون ان ما يزعمه المسلمون اليوم ديناً وتسميه عامتهم بل وأغلب علمائهم بدين الاسلام قد اشتمل على امور كثيرة من عقائد وعوائد واداب موهومة لا علاقة لها بالدين الحقيقي الطاهر وانما هي بدع ومحدثات الصقت به : فهذا الخليط الذي سماه الناس ديناً واعتبروه اسلاماً هو المانع من الترقى .

وليس في امكان احد ان ينكر ان الدين الاسلامي قد تحول اليوم عن أصوله الاولى وان العلماء والفقهاء — الا قليلا ممن انار الله قلوبهم — قد لعبوا به كما شاعت أهواؤهم حتى صيروه سخرية وهزواً وحققت عليهم كلمة الكتاب: « واتخذوا دينهم هزواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا »

ولكنني أعتقد ان هذا الانحطاط الذي طرأ على الدين ليس سبباً لما عليه المسلمون الآن وانما هو نتيجة لامر : هو الجهل الفاشي في المسلمين عامة رجالاً ونساء

كان النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه واصحابه كلهم

يخدمون الدين ويشتغلون بالدنيا في آن واحد. وصرحت السنة كما أجمعت عليه الأئمة بان لا قوام للدين الا بسلطة تحفظه . فلم يمض الا قرن واحد من عهد ظهور الاسلام حتى صار عالم المسلمين يخفق على أهم أقسام العالم . ولم يكن الغرض من هذه الفتوحات العجيبة اكرام الناس على الاخذ بهذا الدين وانما كانوا يفتحون البلاد دفاعاً عن الحوز وتوسيعاً لنطاق الملك والسلطة والانتفاع بالصناعة والتجارة: وهو المتعد الذي يعمل له الاوروبايون في بلاد الشرق الآن

ثم لم يمض على ظهور الاسلام جيلان الا وقد اضاء الكون بنور العلوم التي نشرها المسلمون في كل أرض احتلوها وبلد أقاموا به فلم يتركوا فرعا من العلوم ولا فناً من الفنون الا تعلموه وألقوا فيه وزادوا عليه حتى العرب — تلك الامة الامية التي ربما صح فيها قول ابن خلدون انها لا تصلح للمدينة أبداً — اندفعت بقوة ذلك التيار وعاملت تلك النهضة الى منافسة مواطنيهم في خدمة العلم . وكانت هذه الحركة عامة في كل ما يجول فيه الفكر ويمتد اليه النظر وتتناوله مدارك البشر : هذا يشتغل بعلوم الكلام . وآخر بالعلوم الطبيعية

وثالث بالملك والحساب. ورابع بالتاريخ والجغرافيا. وخامس  
 بالفلسفة والاخلاق. ولم يهتموا بالصناعات والتجارة فبنوا وشيدوا  
 وامتلات سفنهم بالبضائع تجري في البحار حول الارض .  
 واستمر هذا الحال على ضرب من التفاوت بحسب الازمان الى  
 ان رزيء المسلمون بوقائع التاتار في الشرق وانقراض الخلافة  
 منه. وزالت دولة العرب من الاندلس وانتقلت العلوم الاسلامية  
 الى أوروبا فرجع المسلمون الى حالة الجاهلية الاولى

ومن ذلك الحين انطلقاً مصباح العلم من الشرق باجمعه  
 واقتصر علماء الاسلام على النظر في شيء من علوم الكلام  
 وبعض شيء من قواعد اللغة وانصرفوا عن كل شيء سواها  
 ولما ساد الجهل على عقولهم وتراكت ظلماته في اذهانهم  
 لم يعد في استطاعتهم أن يفهموا حقيقة الدين وشعروا أن ضعفهم  
 لا يسمح لهم بان يتسعدوا اليه بقولهم فانزلوه من مكانه الرفيع  
 ووضعوه مع جهلهم في مستو واحد . ثم أخذوا يتصرفون  
 فيه تصرف النبي الاحمق! والجاهل كالظنل يغتر بنفسه ويعجب  
 بتعارفه ويؤذي نفسه والناس معه

أنظر الى الجاهل تجده دائماً يختار من فكرين أقبلهما صواباً



ومن طريقتين أصعبهما ومن عملين أضرهما . ذلك لان الحق سواء كان فضيلة أو مصلحة يلبس بالباطل ويخفي على الناظر فلا يراه الا بعيد النظر نافذ البصيرة في مصائر الامور وعواقبها ثم هو يحتاج في الوصول اليه الى عناء يفرمنا اجاهل الكسول وفيه حرمان من لذة حالية في سبيل منفعة مستقبلة

ومن رأى علمائنا اليوم أن الاشتغال بشؤون العالم والعلوم العقلية والمصالح الدنيوية شيء لا يعنيههم . وصار منتهى علمهم أن يعرفوا في اعراب البسمة ما يزيد من غير مبالغة على الف وجه على الاقل . وان سألتهم عن شيء من الاشياء المتداولة في أيديهم كيف صنع أو عن حال الامة التي هم منها أو أمة أخرى تجاوزهم أو الامة التي احتلت بلادهم أين موقعها الجغرافي وما منزلتها من القوة والضعف . بل لو سألت الواحد منهم عن وظيفة عضو من أعضائه أو مكانه من بدنه — هزوا اكتافهم ازدراء بالسائل والمسئلة واحتقارا لهما . وان تكلمت معهم في نظام حكومتهم الداخلي وقوانينها وحالتهم السياسية والاقتصادية وجدتهم لا يدرون منها شيئاً . وسواء عاشوا في العز او في الذل فهم على كل حال عائشون وبما ينحطون اليه راضون .

ويرون ان ليس للانسان أن يعمل لمصلحة نفسه وان يختار لها  
 أمراً. ويزعمون انهم وكلوا جميع أمورهم الى ما يجري به القضاء.  
 مع انك تراهم أشد الناس احتيالا في طلب الرزق من غير  
 وجهه واحرصهم على حفظ ما يجمعون من الخطام ونيل ما  
 يتوهمونه شرفاً ورفعة ولذلك ضرب المثل بتحاسدهم فيما بينهم  
 فهم في الحقيقة يريدون التخلص من مشقة العمل وانما يحتاجون  
 بالقدر تضليلا للعامة واقناعاً للسذج بانهم في تقصيرهم في أداء  
 ما فرضته عليهم الشريعة مقهورون بقوة القضاء

ظن هؤلاء المساكين انهم متى عرفوا كيف تستقيم  
 العبارات وكيف تعذب الالفاظ بالاعراب والصرف عرفوا  
 ما في الدين والدنيا. والبعدهم بينهم وبين الدين الحقيقي عظيم  
 قال الاستاذ الشيخ محمد عبده في بيان ما جاء به الاسلام  
 كلاماً تأخذ منه ما يناسب المقام هنا لانه أحسن ما كتب في  
 هذا الزمان لتنبه افكار المسلمين :

« طالب الاسلام بالعمل كل قادر عليه وقرر أن لكل  
 « نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فمن يعمل مثقال ذرة  
 « خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . » وان ليس

« للانسان الا ما سعى » وأباح لكل أحد ان يتناول من  
 « الطيبات ما شاء اكلًا وشربًا ولباسًا وزينة . ولم يحظر  
 « عليه الا ما كان ضارًا لنفسه أو بمن يدخل في ولايته أو ما  
 « تعدى ضرورة الى غيره . وحدده في ذلك الحدود العامة  
 « بما ينطبق على مصالح البشر كافة . فكفل الاستقلال لكل  
 « شخص في عمله واتسع المجال لتسابق الهمم في السعي حتى  
 « لم يعد لها عقبه تتعثر بها اللهم الا حقا محترماً تصطدم به  
 « انحى الاسلام على التقليد وحمل عليه حملة لم يردعها عنه  
 « القدر فبددت فيالقه المتغلبة على النفوس واقتلعت أصوله  
 « الراسخة في المدارك ونسفت ما كان له من دعائم وأركان  
 « وفي عقائد الامم . وصاح بالعقل صيحة ازعجته من سبائه  
 « وهبت به من نومه طال عليه الغيب فيها كلما نفذ اليه شعاع  
 « من نور الحق خلصت اليه هينمة من سدنة هياكل الوهم  
 « ثم فان الليل حالك والطريق وعرة والغاية بعيدة والراحلة  
 « كليلة والازواد قليلة

« علا صوت الاسلام على وساوس الطغمام وجهر بان  
 « الانسان لم يخلق ليقاد بالزمام ولكنه فطر على ان يهتدي



« بالعلم والاعلام اعلام الكون ودلائل الحوادث . وانما  
 « المعلمون منبهون ومرشدون والى طرق البحث هادون  
 « صرح في وصف أهل الحق بانهم « الذين يستمعون  
 « القول فيتبعمون أحسنه » . فوصفهم بالتميز بين ما يقال من غيره  
 « فرق بين القائمين يأخذوا بما عرفوا حسنه ويطرحوا ما لم  
 « يتبينوا صحته ونفعه . ومال على الرؤساء فارلهم من مستو  
 « كانوا فيه يأمرون وينهون ووضعهم تحت انظار رؤوسهم  
 « يخبرونهم كما يشاؤون ويمتحنون مزاعمهم حسبما يحكمون  
 « ويقضون فيها بما يعلمون ويتيقنون لا بما يظنون ويتوهمون  
 « صرف القلوب عن التعلق بما كان عليه الآباء وما  
 « توارثه عنهم الابناء وسجل الحق والسفاهة على الآخذين  
 « باقوال السابقين ونبه على ان السابق في الزمان ليس آية من آيات  
 « العرفان ولا مسميا لعقول على عقول ولا لذهان على اذهان  
 « وانما المسابق والملاحق في التميز والقطرة سيان . بل اللاحق  
 « من علم الاحوال الماضية واستعداده للنظر فيها والانتفاع بما  
 « وصل اليه من آثارها في الكون ما لم يكن لمن تقدمه من  
 « اسلافه وآبائه وقد يكون من تلك الآثار التي ينتفع بها أهل الجيل

« الحاضر ظهور العواقب السيئة لأعمال من سبقهم طغيان  
 « الشر الذي وصل اليهم بما اقتترفه سلفهم » « قل سيروا في الارض  
 « فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » . وأن ابواب فضل  
 « الله لم تغلق دون طالب ورحمته التي وسعت كل شيء لن  
 « تضيق عن دائب

« عاب ارباب الاديان في اقتفائهم أثر آباؤهم ووقوفهم  
 « عندما اختطت لهم سير أسلافهم وقولهم : « بل نتبع ما وجدنا  
 عليه آباءنا » . انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم يتدون » (١)  
 ومما يستحق ان نفرح له هو أن نفرأ من علماء عصرنا  
 في مصر وفي غيرها من بلاد الاسلام شرقاً وغرباً يرون  
 ما نرى ويقولون ما نقول ويعترفون بان العلوم التي تقرأ الآن  
 في الازهر وفي غيره لا تفيد ان لم تؤسس على الحقائق العلمية  
 التي تهيب العقول لقبولها والانتفاع بها

وفي الحقيقة أن علوم التوحيد والفقهاء لا يمكن الانتفاع  
 بها اذا لم يسبقها الامام بالمعارف العامة والمباديء العلمية. أليس  
 التوحيد هو خاتمة العلوم كلها وخالصة مجموعها؟ أليس الفقه علم

شريعة كل نفس في ارتباطها بالخالقها وفي معاملتها مع بقية البشر وكلاهما يحتاج الى معرفة عالم النفس وتشريح الجسم ووظائفه والتاريخ والرياضة والعلوم الطبيعية وغيرها مما تسمو به الافكار ويرتقي به العقل ؟ أليس العلم في الحقيقة واحداً يشبه شجرة ذات فرع وأفنان تتصل كلها بأصل واحد وتتغذى من جذر واحد وتخدم حياة واحدة وتنتج ثمرة واحدة هي معرفة حقيقية كل شيء في الوجود

وما علينا الا ان نصغى لمقال هؤلاء العلماء الافاضل الذين هم أدرى منا بحاجات الدين ولا يخفى عليهم شيء من حاجات الدنيا وان نعضدهم في مشروعاتهم الصالحة ليستيقظ الدين من نومته الطويلة ويدلل العقابات ويتغلب على المصائب التي أقامها أهله في طريقه

ولا حاجة بنا الى التطويل في شرح امر صار معلوماً عند الكل وهو انحطاط الدين اليوم في جميع مظاهره حتى في العبادات وانما أردنا ان نبين ان انحطاط الدين تابع لانحطاط العقول وان العلة الاولى التي هي مصدر غيرها من العلل التي حالت بيننا وبين الترقى هي اهمال التربية في الرجال وفي النساء معاً



فان استمر ذلك السبب لم يصلح للامة حال بل يستمر كل أمر على حاله : والدين أيضاً . وان زال ذلك السبب صلح حال الامة في جميع مظاهر حياتها العقلية والادبية وصلح معها الدين أيضاً

أما ان تربية الرجال تصلح شأن الامة وتقوم اعوجاجها فهذا مما صار معروفاً عند كل أحد مسلماً عند الجميع . وأما وجوب تربية المرأة أيضاً فلا يزال محتاجاً الى البيان :

المرأة لا تكون خلقاً كاملاً الا اذا تمت تربيتها الجسمية والعقلية . أما تربيتها الجسمية فلانها لازمة لها في استكمال صحتها وحفظ جمالها . فيجب أن تربي كما يجب أن يربي الرجال على تمرين الجسم بالحركة والرياضة لان الجسم الضعيف لا يسكنه الا عقل ضعيف ولان ما يكثر عروضه للنساء من الاضطرابات العصبية والنخية انما هو ناشئ عن عدم انتظام وظائف اعضاء الجسم

فسلامة العقل في جميع مظاهره تابعة لسلامة الجسم . وهذا هو السر في تقدم الجنس الانكايزي السكسوني على غيره ويرى القراء في الكتاب الذي ترجمه صديقي احمد فتحي

بك زغلول من اللغة الفرنسية الى العربية (١) كيف ان  
 نشاطهم وجرأتهم واقدامهم وتبصرهم وفطنتهم وجميع الصفات  
 التي تعترف كل الانم بامتيازهم فيها عن سواهم هي نتيجة لعب  
 الكرة والسباحة وركوب الخيل والحرية والاستقلال في  
 الاعمال مما له دخل كبير في تربية اطفالهم ذكورا واناثا. ولهذا  
 ابتداء الفرنسيون وغيرهم في تقليدنا لانهم ادركوا ان تربية  
 العقل التي اعتنوا بها لا تثمر ثمرتها الا اذا صحبتها تربية الجسم  
 وان موازنة العقل لا تتم الا بموازنة وظائف الجسم . واذا  
 تذكر القارئ ما سبق بيانه من ان الولد يرث من ابويه  
 خصوصا من امه الحلة الجسمية والعقلية التي تكون عليها مدة  
 حملها يعلم مقدار ما تستفيد المرأة والرجل والهيئة الاجتماعية  
 كلها من الاعتناء بصحة المرأة

واما تربيتها العقلية فلانها بدونها تكون المرأة فاقدة لقيمتها  
 كما هي حالتها الان عندنا . نعم لها تلد ويحفظ بها النوع  
 الانساني . لكنها في ذلك انما تؤدي وظيفة كل انثى من سائر  
 انواع الحيوانات وهي لا تمتاز في عملها هذا عن نحو هرة وولود

(١) سر تقدم الانكليز السكسونيين

وفي الحق اننا ضيقنا دائرة وظيفة المرأة وخصصناها بالنتاج ولم نطلب منها شيئاً غير ذلك . وسببه اننا توهمنا ان المرأة لا تصلح لعمل آخر وان الرجال غير محتاجين للنساء في القيام بشؤون الحياة الخاصة والعامة وغاب عنا ان الرجل انما يكون في كبره كما هيأته والدته في صغره

فهذا الارتباط التام بين الرجل وامه هو الامر المهم الذي اريد ان يفهمه الرجال . وهو ثمرة كل ما وضعته في هذا الكتاب

اني اكرر ما قلته من انه يستحيل تحصيل رجال ناجحين ان لم يكن لهم امهات قادرات على ان يهيئنهم للنجاح . فتلك هي الوظيفة السامية التي عهد التمدن بها الى المرأة في عصرنا هذا وهي تقوم باعبائها الثقيلة في كل البلاد المتقدمة حيث تراها تلد الاطفال ثم تصوغهم رجالاً

وبديهي ان العمل الاول وهو الولادة هو عمل بسيط مادى تشترك فيه المرأة مع الحيوانات فلا يحتاج الا الى بنية سليمة . اما العمل الثاني وهو التربية فهو عمل عقلي امتاز به النوع الانساني وهو محتاج في تأديته الى تربية واسعة واختبار



عظيم ومعارف مختلفة

والامر الذي يلزم ان تلتفت اليه كل امة لا تغفل عن  
مصالحها الحقيقية هو وجود النظام في العائلات التي يتكون  
منها جسم الامة لان العائلة هي اساس الامة . ولما كانت  
المرأة هي اساس العائلة كان تقدمها وتأخرها في المرتبة العقلية  
اول مؤثر في تقدم الامة وتأخرها

المرأة ميزان العائلة . فان كانت منحطة احتقرها زوجها  
واهلها واولادها وعاشوا جميعاً منحلين لا يرتبط بعضهم ببعض  
ولا يعرفون نظاماً ولا ترتيباً في معيشتهم فتنفسد آدابهم  
وعوائدهم. اما ان كانت المرأة على جانب من العقل والادب  
هدبت جميع العائلة واحترمها افرادها واحترموا انفسهم وعاش  
الجميع في نظام تام تحت لواء محبتها متضامين اقوياء باتحادهم  
وهذه الصفات التي تشاهد في العائلة هي الصفات التي تشاهد  
في الامة اذ كل منا يسلك في امته مسلكه في عائلته. ومن  
المحال ان يكون للانسان من الصفات والاخلاق في امته  
ما ليس له نموذج في منزله . وان يعامل مواطنيه باخلاق  
غير التي يعامل بها أفراد عائلته . فان كان حسن الاخلاق

في عائلته كان كذلك في امته وان كان سيء الاخلاق في  
عائلته ساءت اخلاقه في امته ايضاً . ومن هذا يتبين مقدار  
عمل المرأة في تقدم الانم وتأخرها

وبالجملة فان ارتقاء الامم يحتاج الى عوامل مختلفة متنوعة  
من اهمها ارتقاء المرأة . والنحطاط الامم ينشأ من عوامل مختلفة  
متنوعة ايضاً من اهمها انحطاط المرأة

فهذا الانحطاط في مرتبة المرأة عندنا هو اهم مانع يتف  
في سبيلنا ليصدنا عن التقدم الى ما فيه صلاحنا . وعلى هذا  
فليست تربية المرأة من الكماليات التي ينتظر بها مرور الازمان  
ويجوز الابطاء في اعداد الوسائل لها كما يتوهمه كثير من  
الناس الذين يطنطنون بمزايا تربية الذكور ويقدمونها على تربية  
البنات . وانما هي من الحاجيات بل من الضروريات التي يجب  
البدء بها والعناية بتوفير ما يلزم لها من المعدات . وهي الواجب  
الخطير الذي ان قننا به وسهل علينا كل اصلاح سواه وان  
اهملناه افسد علينا كل اصلاح سواه

دلت التربية الجديدة التي منحها نساء اوروبا من نحو  
قرن على ان المرأة ليست تلك الالة البسيطة التي وقفنا اولئك

الاسلاف الغافلون على التناسل . فيه مجرد ما حل العقل محل  
القوة وحلت الحرية محل الاستبداد رأى العالم ان في المرأة  
اسراراً لم تعرفها الجاهلية الاولى وانها تصلح لوظائف سامية  
مثل التي يصلح لها الرجال وان انحطاطها كان عارضياً طبيعياً.  
فلما استيقظت من نومها واستنار عقلها واستقامت ملكاتها وتحملت  
نفسها بالفكر والعلم ومررت قواها على العمل صعدت من العقل  
الى درجة وذهبت فى رقة الشعور الى غاية لم تكن تخاطر في  
خيال احد من اهل تلك العصور الخالية . وهي الى الان كلما  
تمتعت بحريتها زاد ارتقاؤها

كل مطلع على حركات النساء الغربيات واعمالهن لا يشك  
فى انهن يأتين من الاعمال العظيمة ما لا قوام للمدنية بدونه:  
لا يوجد فرع من فروع الصناعة والتجارة ولا علم من العلوم  
ولا فن من الفنون الا والمرأة عاملة فيه مع الرجال كتنفاً لكتف  
ولا يوجد عمل خيري الا وهي في اول العاملين فيه . ولا تقع  
حادثة سياسية الا والدراسة نصيب فيها . وليس بين الصنفين  
فرق الا ان المرأة لم تنل الحقوق السياسية فاذا منحتها كما هو  
المنتظر في بلاد اوربا تمت المساواة بينهما . على انها قد نالت



منها الان شيئاً كبيراً حيث خول لها حق الانتخاب في امريكا  
 وفي انكلترا في المجالس البلدية وفي فرانسافي المحاكم التجارية  
 وفي بعض ممالك الولايات المتحدة تجلس المرأة في المجالس  
 الشورية. ولا تخلو اليوم عاصمة من عواصم اوربا وامريكا من  
 جمعية للنساء همها أن تطالب بحقوق المرأة والسعي في سبيل  
 اكتسابها. وكل سنة تمر تترك في تاريخ اعمالهن اثر اشرىفاً  
 وتنتهي بفوز جديد

ولا يشك احد من الواقفين على هذه الحركة التي اظهر  
 فيها هذا الصنف الضعيف قوة عجيبة ان المرأة لا بد ان تصل  
 في زمن قريب الى مستو تبلغ فيه منتهى ما تطلب من مساواتها  
 للرجال في جميع الحقوق. ولا يعلم ماذا يكون بعد ذلك الا الله  
 وهل يقف النساء عند هذا الحد او يسبقن الرجال في ميدان  
 التقدم والترقي

ومن البديهي ان هذه القوى التي تصرفها النساء في التجارة  
 والصناعة والفنون والعلوم وان كانت كل واحدة منها على حدها  
 لا يظهر أثرها للناظر في احوال الامة ولكن لجمعها مجموع  
 واحد يظهر اثره في احوالها تمام الظهور. وهي رأس مال عظيم

نحن مقصرون في العناية والانتفاع به

وعندي أن من أعظم ما يؤسف عليه حرمان بلادنا من  
 أعمال النساء الخيرية . لأن الميل الى الخير من غرائز المرأة  
 الفطرية ويقودها اليه رقة الاحساس وحنو القلب . ولها من  
 الصبر على خدمة الفقراء والمرضى ما لا يتحمله أعظم الرجال جلدًا .  
 ولها اعتناء جميل واندفاع قلبي وهذه الصفات توجد عند النساء  
 في الغالب . غير أن المرأة الجاهلة لا تجد من نفسها مرشدًا  
 يهديها الى سبيل الخير فتصرف ما أودعه قلبها من كنوز الرحمة  
 في اصغر الامور واحقرها

هذا هو عمل المرأة في الامم المتقدمة وقد وجد في مبدأ  
 الاسلام عدد غير قليل من النساء كان لهن اثر في مصالح المسلمين  
 العامة فجميع المسلمين يعلمون ان طائفة عظيمة من الاحاديث النبوية  
 على اختلاف مواضعها قد رويت عن عائشة وأم سلمة وغيرهما  
 من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة . وان عددًا غير قليل من  
 النساء اشتهرن بخدمة العلم وجودة الشعر . وان عائشة تدخلت  
 في مسألة الخلافة العظمى وكانت رئيسة للحزب المعارض لاحد  
 الخلفاء . واني اورد هنا بعض ما خطبت به على الناس تحمليهم

على الانضمام الى الطائفة التي كانت قد انحازت اليها وهي الخطبة التي القتها عند دخولها البصرة

« ان الغوغاء من أهل الامصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدثوا فيه الاحداث وآووا فيه المحدثين واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا » من قتل امام المسلمين ( عثمان ) بلا ترة ولا عذر . فاستحلوا « الدم الحرام فسفكوه وانتهبوا المال الحرام واحلوا البلد الحرام » والشهر الحرام . ومزقوا الاعراض والجلود واقاموا في دار « قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافعين ولا « متقين لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون . فخرجت في « المسلمين اعلمهم ما اتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا « وما ينبغي لهم ان يأتوا في اصلاح هذا وقرأت : ( لخير « في كثير من نجوا هم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح « بين الناس ) نهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل « وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصغير والكبير والذكر « والانشى فهذا شأننا الى معروف نأمركم به ونحذركم عليه .



«ومنكر منها كم عنه ونحتمك على تغييره» (١)

ويروى عن أم عطية أنها قالت : (وغزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وكنت اخلفهم في رحالهم واصنع لهم الطعام واداوي الجرحى واقوم على المرضى والذي يقرأ هذه الاسطر يتخيل له انه يرى امرأة غربية من المرضات اللاتي وهبن حياتهن لخدمة الانسانية

والناظر في الاحوال التي فضلت فيها شريعتنا الرجل على المرأة مثل الخلافة والامامة والشهادة في بعض الاحوال لا يجد واحدة منها تتعلق بعيشتها الخصوصية وحريتها. وان الشارع لم يراع في هذه المسائل القليلة الا عدم الخروج بالمرأة عن وظيفتها في العائلة وحصر الوظائف العمومية في الرجال. وهو تقسيم طبيعي جرى على مقتضاه الى الان التمدن في اوربا ولا يوجد فيه شيء يمنع من ترقية المرأة والوصول بها الى اعلى مرتبة تستحقها. وما من عاقل يدرك الغرض الصحيح من تلك الحقوق العظيمة التي خولتها الشريعة الاسلامية الى المرأة في جميع الاعمال المدنية — ومنها أهليتها لان تكون

وصية على رجل — يستحسن ما يخالفها من عوائدنا التي تؤدي الى حرمان المرأة بالفعل من استعمال هذه الحقوق والقاريء الذي تتبع سلسلة القواعد الكلية التي سردها بغاية الايجاز لا بد ان يكون قد لاحظ انها كلها تلخص في عبارة واحدة: هي انه لا بد لحسن حال الامة من ان تحسن حال المرأة. فاذا ارسل الناظر فكره ليحيط باطراف هذا الموضوع الواسع وبجميع ما يرتبط به من المسائل انجملت له الحقيقة وتجلت له بجميع اسرارها فيرى صورة لا تشابه الخيال الذي كان يظنه جسمًا. يرى المرأة التي يهيئها المستقبل تلالاً في انوار جمالها ظاهرة مظهرها الفطري ولا بسة حلة كالمها النسائي: الجسم والعقل

## العائلة

لا يتم اصلاح حال المرأة بمجرد التربية وحدها بل يحتاج الى تكميل نظام العائلة . نعم ان ارتقاء مدارك المرأة مما يساعد على كمال نظام العائلة ولكن هذا النظام نفسه على ما به من الارتباط بالعوائد والاحكام الشرعية له هو الاخر دخل كبير في ارتقاء المرأة وانحطاطها . ولهذا رأينا من الضروري استلفات الذهن الى اهم المسائل التي تمس بحياة العائلة وهي الزواج وتعدد الزوجات والطلاق . وسنتكلم عليها باختصار على هذا الترتيب

١

### الزواج

رأيت في كتب الفقهاء أنهم يعرفون الزواج بأنه «عقد



يملك به الرجل بضع المرأة « وما وجدت فيها كلمة واحدة تشير الى أن بين الزوج والزوجه شيئاً آخر غير التمتع بقضاء الشهوة الجسدانية . وكأها خالية عن الاشارة الى الواجبات الاديبة التي هي أعظم ما يطلبه شخصان عهذبان كل منهما من الآخر وقد رأيت في القرآن الشريف كلاماً ينطبق على الزواج ويصح ان يكون تعريفاً له ولا أعلم أن شريعة من شرائع الانم التي وصلت الى اقصى درجات التمدن جاءت باحسن منه . قال الله تعالى : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » . والذي يقارن بين التعريف الاول الذي فاض من علم الفقهاء علينا والتعريف الثاني الذي نزل من عند الله يرى بنفسه الى أي درجة وصل انحطاط المرأة في رأى فقهائنا وسرى منهم الى عامة المسلمين . ولا يستغرب بعد ذلك أن يرى المنزلة الوضيعة التي سقط اليها الزواج حيث صار عقداً غايته أن يتمتع الرجل بجسم المرأة ليتلذذ به وتبع ذلك ما تبعه من الاحكام الفرعية التي رتبوها على هذا الاصل الشنيع

فهذا النظام الجميل الذي جعل الله أساسه المودة والرحمة

بين الزوجين آل أمره بفضل علمائنا الواسع الى أن يكون اليوم  
 آلة استمتاع في يد الرجل وجرى العمل على اهمال كل ما من  
 شأنه ان يوجد المودة والرحمة وعلى التمسك بكل ما يخل بهما :  
 فمن دواعي المودة أن لا يقدم الزوجان على الارتباط بعقد  
 الزواج الا بعد التأكد من ميل كل منهما للآخر . ومن مقتضى  
 الرحمة أن يحسن كلاهما العشرة مع بعضهما . ولكن لما غفلنا  
 عن معنى الزواج الحقيقي الشرعي استخففنا به وتهاونا بواجباته  
 وكان من نتائج ذلك ان يتم عقد الزواج قبل أن يرى كل من  
 الزوجين صاحبه

بيننا فيما سبق ان جميع المذاهب في اتفاق على ان نظر  
 المرأة المحطوبه مباح لخاطبها وذكرنا حديثاً عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم أمر به احد الانصار ان ينظر الى خطيبته وهو قوله  
 " انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما " ، فما بالنا اهملنا هذه  
 النصيحة على ما فيها من الفائدة مع اننا نتمسك بغيرها مما يقل  
 عنها في الاهمية ؟ - ذلك لان الجاهل من عاداته ان يميل الى  
 ما يضره وينفر مما ينفعه

كيف يمكن لرجل وامرأة سليمي العقل قبل ان يتعارفا

ان يرتبطا بعقد يلزمهما ان يعيشا معاً وان يختلطاً كمال الاختلاط؟  
 ارى الواحد عن عامة للناس لا يرضى ان يشتري خروفاً  
 او جحشاً قبل ان يراه ويدقق النظر في اوصافه ويكون في امن  
 من ظهور عيب فيه . وهذا الانسان العاقل نفسه يقدم على  
 الزواج بخفة وطيش يحار امامها الفكر !

لعلك تقول ان المرأة ترى خطيبها من الشباك مراراً  
 وان الرجل يعرف بواسطة امه او اخته اوصاف خطيبته مثل  
 سواد شعرها وبياض خدودها وضيق فمها واعتدال قوامها  
 ورزاقه عقلها وما اشبه ذلك فيكون عنده نلم بما هي عليه من  
 جمال وشمائل . - نقول هذا قد يكون . ولكن كل هذه  
 الصفات متفرقة لا تفيد صورة ما ولا يمكن ان ينبعث عنها  
 ميل الى طلبها لتكون عشيرة تطامن لصحبتها النفوس وتتعلق  
 بها وبنسائها الآمال . وانما الذي يهم الانسان البصير هو ان  
 يرى بنفسه خلقاً حياً يفكر ويتكلم ويفعل . خلقاً يجمع الشمائل  
 والصفات ما يلائم ذوقه ويتفق مع رغباته وعواطفه

كثيراً ما يرى الواحد شخصاً لم يكن رآه قبل ذلك وبمجرد  
 ما يقع عليه نظره تنفر منه نفسه في الحال نفوراً تاماً ولا يعلم



لذلك سبباً. وربما يستقبح الناظر شخصاً على بعد ولكنه متى  
دنا منه وفاض الحديث بينهما تبدل منه ما وجد عنه أولاً بضده.  
وربما زين لأول نظرة منك صورة يظهر عليها بهاء الجمال حتى  
إذا دنوت منها تبدل ذلك الاحساس بضده لأول كلمة تصدر  
منها وخصوصاً أن هذا الاحساس المادي سواء كان ميلاً أو  
تفوراً لا يتعلق بجمال وقيح المنظر ولا يحس به جميع الناس على  
طريقة واحدة. فان الانسان الواحد يكون منظاره سبباً للتفور  
عند شخص وللميل عند شخص آخر !

فهذه الجاذبة الحسية لا بد منها عند الزوجين. وهي ان  
لم تكن ضرورية بين رجل وامرأة يطلبان الزواج مع بعضهما  
فلا ارى في اي شيء آخر تكون لازمة !

على ان الانجذاب المادي ليس كافياً في الزواج بل يلزم  
ان يوجد أيضاً توافق بين نفوس الزوجين. اي انه يوجد -  
لا اقول اتحاداً لانه مستحيل - وانما ائتلاف بين ملكاتهما  
واخلاقهما وعقولهما: ولا تتأتى معرفة وجود هذا التوافق  
وعدم وجوده الا اذا خالط كل منهما صاحبه ولو قليلاً  
ولا يختلف اثنان في ان الزواج الذي يبني على هذا

التوافق يكون امرًا محترمًا في نفوس الزوجين وتكون عقده من المتانة بحيث لا يسهل انحلالها ويكون ايضًا موجبًا للعفة والتصون . وعندى ان كل زواج لا يؤسس على هذا الائتلاف فهو صفقة خاسرة لا خير فيها لاحد من الزوجين مهما طال اجل الزواج ومهما كانت صفات الرجل والمرأة . ولهذا قال الاعمش : « كل تزويج يقع على غير نظر فامرهم وغم »

ولما كان الزواج لا يراعى فيه اليوم هذا الشرط كانت الرابطة بين الزوجين واهية العقد تنحل لاول عرض يطرأ عليها . واغلب ما يكون من ذلك لاسبب له الارغبة كل منهما في الخروج من قيد لا يرى وجهًا للمحافظة تليه والتنصل من امر لا قيمة له في نفسه .

وكل ذي ذوق سليم يرى من الصواب ان يكون للمرأة في انتخاب زوجها ما للرجل في انتخاب زوجته فانه امر يههما اكثر مما يههم ذوي قرابتها . اما حرمانها من النظر في كل ما يختص بزوجها وقصر الرأي في ذلك على اوليائها دون مشاركة منها لهم فو بعيد عن الصواب

قضت العادة عندنا ان يجتنب الحديث مع البنت فيما

يتعلق بالرجل الذي خطبها فلا يصلها خبر عن صفاته و اخلاقه  
 ولا تسأل هل تحب الاقتران به ولا يبحث احد عن ذوقه  
 ورغبتها وميلها وهي لا تجد من نفسها جراءة على أن تبدي  
 ما في ضميرها . ويرى الناس انه لا يليق بالمرأة ان يكون لها  
 صوت في ام الاشياء لديها فيعطي القريب او البعيد رأيه في زواجها  
 ما عداها ويظنون ان هذا من تمام فضيلة الحياء وكمال الادب  
 وهم مخطئون فيما يظنون

منحت شريعتنا السمحاء الى النساء حقوقاً لا تنقص عن  
 حقوق الرجل في الزواج . فلها الحق مثله في أن تتأكد بنفسها  
 من امكان تحقيق آمالها . وما علينا الا نسمع صوت شريعتنا  
 وتتبع أحكام القرآن الكريم وما صحح من سنة النبي صلى الله  
 عليه وسلم واعمال الصحابة لتم لها السعادة في الزواج

جاء في الكتاب العزيز : « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف »  
 وكان ابن عباس يقول اتباعاً لهذه الآية الكريمة : « أني أحب  
 أن أتزين لامرأتي كما أحب ان تزين لي » وقال تعالى : « وعاشروهن  
 بالمعروف » وقال في تعظيم حقهن : « وأخذن منكم ميثاقاً  
 غليظاً » وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين



يا أحسنهم خلقاً والطفهم بأهله . وكان النبي صلى الله عليه  
 وسلم يعلم يجب النساء كما ورد في الحديث: « حبب اليّ من دنياكم  
 ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة » وكان  
 يحترم النساء احتراماً برهن للعالم على حسن خلقه حتى أنه كان  
 يضع ركبته على الأرض لتضع زوجته عليها رجليها إذا أرادت  
 أن تركب . وكان يتنازل إلى ملاعبتهن وممازحتهن حتى روي  
 أنه كان يسابق عائشة رضي الله عنها فسبقته يوماً وسبقها في  
 بعض الايام فقال : « هذه بتلك » . وكان يرأف بالنساء  
 ويوصي عليهن دائماً . فما روى عنه قوله : « خياركم خياركم  
 لنسائكم » . وقوله : « استوصوا بالنساء خيراً » . والاحاديث  
 في هذا الموضوع كثيرة كلها تدل على أن الدين الاسلامي يحث  
 على اعتبار المرأة واحترام حقها ومعاملتها بالاحسان والمعروف  
 ولكن ما دامت المرأة على ما هي عليه اليوم من الجهل  
 فالزواج لا يكون — كما هو الآن — الا شكلاً من الاشكال  
 العديدة التي يستبد بها الرجل على المرأة  
 أما اذ تعلمت المرأة حقوقها وشعرت بقيمة نفسها عند  
 ذلك يكون الزواج الواسطة الطبيعية لتحقيق سعادة الرجل

والمرأة معاً . عند ذلك تؤسس الزوجة على انجذاب شخصين  
 يحب أحدهما الآخر حباً تاماً بجسمها وقلبهما وعقلها . عند  
 ذلك تعيش المرأة تحت حكم عقلها فتنتخب من بين الرجال من  
 تحبه وتميل إليه وترتبط به بعقد الزواج ويعرف أهلها أن في  
 كمال عقلها ما يكفي لحسن اختيارها فيكونون معها على اتفاق  
 في الرأي فلا تخشى غضبهم ولا انتقاد الناس عليها . عند ذلك  
 يعرف الرجال قيمة النساء ويدوقون لذة الحب الحقيقي

أنظر الى زوجين متحابين تجدهما من اليوم في نعيم الجنة  
 ماذا يهمهما أن يكون الصندوق خالياً من المال او ان يكون  
 على المائدة عدس وبصل؟ اما يكفيهما فرح القلب في كل دقيقة  
 تمر من اليوم : هذا الفرح الذي يبعث النشاط في الجسم  
 والطمانينة في النفس ويحيي في القلب شعوراً بلذة الحياة ويزينها  
 له ويخفف ثقلها عليه ويجعلها منه في مكان الرضى حتى قال عمر  
 ابن الخطاب : « ما اعطي العبد بعد الايمان خيراً من امرأة صالحة »  
 اين هذا من حال عائلتنا اليوم التي نرى فيها الزوجين  
 واحدهما ابعد الناس عن الآخر . ولو لم يكن الا هذا البعد  
 خلف احتمالها . ولكن لما كان في طبيعة الانسان ان يجري وراء

سعادته كان كل من الزوجين يعتقد أن صاحبه هو الحجاب الحائل بينه وبينها . ومن هذا الاعتقاد يتكون في المنزل جو مشحون بالغيام والكهرباء يعيش فيه كل منهما وقلبه ملآن بعيوب الآخر . وتبدو فيه المناقشات والمخاصمات في كل آن بسبب وبغير سبب في الصباح وفي المساء حتى وفي الفراش تنتهي هذه الحالة بأن تتخلى المرأة عن بيتها الى اخدم يفعلون فيه ما يشاؤون . فيستولى الاختلال على ما فيه وتظاهر فيه آثار الاهمال فيبدو للناظر اليه كأنه غير مسكون باهله ويعلم التراب فراشه والقدر موائده وتغفل شؤون الزوج والاولاد في ما أكلهم ومشربهم وملابسهم . وتقضي الزوجة أوقاتها في مكان واحد تفكر في سوء ما وصلت اليه أو تترك منزلها من الصباح وتطوف على جاراتها لتفرج عن نفسها المموم وليس الرجل باحسن منها حالاً فإنه يهجر منزله ويستريح الى العيش في القهراوي أو عند جيرانه . فاذا رجع الى بيته طلب العزلة عن زوجته والنزول السكوت

نتج مما تقدم أن الزواج على غير نظر كما هو حاصل الآن إنما هو طريقة يستعملها الرجل في الغالب الاستمتاع بعدد من



النساء يدخلن في حيازته دفعة واحدة أو على التعاقب ولا تجد فيه المرأة مزية ترضي نفسها .

وكل رجل يقصد من الزواج أن تكون له صاحبة تشاركه في السرّاء والضرّاء يصعب عليه بل قد يتعذر أن يبلغ ما يريد من ذلك . ولهذا السبب رأينا في هذه السنين الاخيرة كثيراً من الشبان المقادرين على الزواج لا يرغبون فيه . ولما كان عدد الرجال المهذّبين يزداد في كل سنة — لان الشعور بوجوب تربية البنين تقدم وسيتقدم كثيراً في المستقبل — صارت تربية المرأة على مبدأ التعليم والحرية أمراً ضرورياً لا يستغنى عنه . والا فمأكلنا الا أن نعلن أن الثقة بالزواج قد فقدت وأن المعاملة به قد بطلت وحق عليه الافلاس .

ولست مبالغاً ان قلت أن رجال العصر الجديد يفضلون العزوبة على زواج لا يجدون فيه آمانتهم المحبوبة . فانهم لا يرضون الارتباط بزوجة لم يروها وانما يطلبون صديقة محبوبتها وتحبهم لا خادمة تستعمل في كل شيء . ويطلبون أن تكون أم أولادهم على جانب من العلم والخبرة يسمح لها بتربية أولادها على مبادئ الاخلاق الحسنة وقواعد الصحة .

وكل من تجرد من التعصب وحب التمسك بالعوائد القديمة لا بد أن ينشرح صدره عند ما يرى نمو هذا الميل في نفوسهم ويرى من نفسه وجوب الاصغاء الى مقالهم والنظر في مطالبهم فلا يستهجنها لاول وهلة ولا يرميهم بالتفرنج في آرائهم قبل البحث فيها . بل يزنها بميزان العقل والشرع ومتى ثبت له أن هذا التغيير الذي نطلبه ليس الارجوعاً في الحقيقة الى أصول الدين وعوائد المسلمين السابقين وأنه اصلاح يقضي به العقل السليم لا يتأخر عن مساعدتهم على تأييدها .

## ٢

## تعدد الزوجات

تعدد الزوجات هو من العوائد القديمة التي كانت مألوفة عند ظهور الاسلام ومنتشرة في جميع الانحاء يوم كانت المرأة نوعاً خاصاً معتبرة في مرتبة بين الانسان والحيوان . وهو من ضمن العوائد التي دل الاختبار التاريخي على أنها تتبع حال المرأة في الهيئة الاجتماعية فتكون في الأمة غالبية عند ما تكون

حال المرأة فيها منحطة وتقل أو تزول بالمرّة عند ما تكون حالها مرتقية . اللهم الا اذا كان التعدد لاسباب خاصة قضت به عند فرد أو أفراد مخصوصين فتقف عندهم وتقدر بقدرهم حتى في الامة التي ألف تعدد الزوجات فيها نرى الرجل اذا بلغ من كمال العقل ما يشعر معه بمنزلة زوجته من أهله وأولاده وعرف ان من حقوقها ان تكون في المرتبة التي تستحقها بمقتضى الشرع والفطرة مال الى الاكتفاء بالواحدة من الزوجات ويمكن الاستدلال على ذلك بما نشاهده ولا نحتاج احداً ينازعنا فيه من أن هذه العادة خفت في بعض الطبقات من أهل بلادنا عما كانت عاينه من قبل عشرين أو ثلاثين سنة

نعم ان من منع الرقيق كان له أثر محمود في سقوط هذه العادة حيث قطع ورود الجوارى التي كانت تملأ بيوت أكبر القوم واعيانهم . ولكن يظهر لى أن ترقى عقول الرجال وتهذب نفوسهم له أثر مهم أيضاً في تلاشيها . ذلك لان الرجل المهذب لا يرضى معاملة المرأة بالاستبداد ولا تناويعه مروءته ان همت شهوته بامتئانها .

وبديهي أن في تعدد الزوجات احتقاراً شديداً للمرأة



لأنك لا تجد امرأة ترضى أن تشاركها في زوجها امرأة أخرى كما أنك لا تجد رجلاً يقبل أن يشاركه غيره في محبة امرأته وهذا النوع من حب الاختصاص طبيعي للمرأة كما أنه طبيعي للرجل . ولو سلم أنه ليس بطبيعي كما ذهب إلى ذلك قوم استشهدوا على رأيهم بمثل الديك الواحد الذي يعيش بين العشرات من الدجاج فاقبل ما فيه أنه ميل مكتسب بلغ من النفس الإنسانية بالعادة والتوارث مبلغ جميع الكمالات التي تولدت في نفوس أفراد هذا النوع عند ارتقائه من أدنى درجاته من الحيوانية إلى ما أعدله من الكمال الإنساني . فهذا الاختصاص بما كسبه من التأصل في النفس والرسوخ فيها لا يقل أثره عن أثر الغرائز الفطرية

وعلى كل حال فكل امرأة تحترم نفسها تتألم إذا رأت زوجها ارتبط بامرأة أخرى إذ لا يخلو حالها من أحد أمرين أما أن تكون مخلصاً في محبتها لزوجها فتلتهب نيران الغيرة في قلبها وتذوق عذابها . وأما أن لا تكون كذلك لكنها راضية بعشرته لسبب من الأسباب فهي مع ذلك ترى لنفسها مقاماً في أهله فإذا ارتبط بأخرى سواها قاست من الألم ما يبعثه

احساسها بان ذلك المقام الذي كان باقياً لها قد انهدم ولم يعد لها أمل في بقاء شيء من كرامتها عنده . فالأمل لا يصق بها على كل حال

وان قيل ان التجارب دلت على امكان الجمع بين امرأتين او اكثر مع ظهور رضاء كل منهن بحالتها . فالجواب عنه من وجهين: الاول ان ما يدعى من رضاء كل منهن بحالها فليس بصحيح الا في بعض افراد نادرة لاحكم لها في تقدير حال امة وان وقائع المنازعات بين النساء وازواجهن والجنایات التي تقع بينهم مما لا يكاد يحصى . وهو شاهد على ان تعدد الزوجات مشار للنزاع بينهن وبين ضرائرهن وبين ازواجهن ومصدر لشقاء الاهل والاقارب . فمن يدعي ان نساءنا يرضين بمشاركتهن في ازواجهن ويعشن مع ذلك باطمئنان قلب وراحة بال فهو غير عارف بما عليه حالة النساء في البيوت

والثاني ان ما يكون من ذلك الرضاء في القليل النادر ناشيء عن ان المرأة انما تعتبر نفسها متاعاً للرجل فله ان يختص بها وله ان يشرك معها غيرها كيفما شاء . وليس لها على هواه حق تطالبه به : كما كان الرجال عندنا يعتبرون انفسهم متاعاً

للحكام في عهد ليس بعيداً عنا  
ويظهر لي ان رجلاً مهذباً عارفاً بما يفرضه عليه الشرع  
والعدل لا يطيق النهوض بما يضعه على عاتقه اجمع بين امرأتين  
فضلاً عن أكثر .

قدمنا ان في فطرة المرأة ميلاً الى التسلط على قلب الرجل  
فاذا رأت بجانبه امرأة اخرى في فطرتها ذلك الميل ويمكنها  
ان تبلغ منه بضروب الوسائل ما تشتهي تولاهها الاضطراب  
والقلق وهجرتها الراحة وكانت حياتها عذاباً اليماً . وتلك الحال  
لا تخفى على الرجل المهذب . فكيف يمكن ان تطيب نفسه  
بمشهد ذلك العذاب الاليم ؟

ويزيد النساء قلقاً واضطراباً ما صرح به الفقهاء من انه  
لا يجب على الرجل ان يعدل في محبته بين نسائه وانما طلبوا  
العدل في النفقة وما شاكلها

ولا ريب في ان شقاء المرأة بهذه الحال يكون له اثر  
شديد في نفس الرجل المهذب حيث يشعر دائماً بانه هو  
السبب في هذا الشقاء .

ثم ان الاولاد من امهات مختلفات ينشؤون بين عواصف



الشقاق والخصام فلا يجدون ما يساعد غرائزهم على تمكين  
علائق المحبة بينهم . بل يجدون ما يعاكس تلك الغرائز وينمي  
في نفوسهم البغضاء ولا يستطيع احد ان يحول بين ما يشهدون  
من تخصم امهاتهم بعضهن مع بعض وتخاصمهم مع والدهم  
فيأثر ذلك في نفوسهم . بل يسري في افئدتهم سم الغش والخدعة  
والشر ويظهر اثر كل ذلك عند الفرصة : مثلهم كمثل الممالك  
الاوروبابوية تظهر بحالة السلم وهي تاخذ اهبتها للحرب حتى  
اذا حانت الفرصة وثب كل منهما على الآخر فمزق بعضهم  
بعضاً كما نشاهده في اغلب العائلات

أين هذا من منظر عائلة متحدة يعيش فيها الاولاد في  
حضان والديهم . تجمعهم محبة صادقة . لا يتنافسون الا في  
زيادة الحب ولا يتسابقون الا الى الخير يصل من بعضهم لبعض  
يربطهم ميثاق غليظ جعلهم كاعضاء جسم واحد ان فرح أحدهم  
فرحوا معه وان بكى بكوا معه . هم سعداء الدنيا في كل حال  
أسبغ الله عليهم اكبر نعمة يتمناها العاقل وهي المودة في القربى  
فلا ريبه بعد هذا ان خير ما يعمله الرجل هو انتقاء زوجة  
واحدة . ذلك أدنى أن يقوم بما فرض عليه الشرع فيوفي

زوجته وأولاده حقوقهم من النفقة والتربية والمحبة وأقرب إلى الوصول إلى سعادته .

ولا يعذر رجل يتزوج أكثر من امرأة : اللهم الا في حالة الضرورة المعلقة كأن أصيبت امرأته الأولى بمرض من لا يسمح لها بتأدية حقوق الزوجية . أقول ذلك ولا أحب أن يتزوج الرجل بامرأة أخرى حتى في هذه الحالة وأمثالها حيث لا ذنب للمرأة فيها . والمروءة تقضي أن بتحمل الرجل ما تصاب به امرأته من العلل كما يرى من الواجب أن تتحمل هي ما عساه كان يصاب به

وكذلك توجد حالة تسوغ للرجل أن يتزوج بثانية اما مع المحافظة على الأولى اذا رضيت او تسريحها ان شاءت : وهي ما اذا كانت عاقراً لا تلد لان كثير من الرجال لا يتحملون أن ينقطع النسل في عائلتهم .

أما في غير هذه الاحوال فلا أرى تعدد الزوجات الا حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمية . وهو علامة تدل على فساد الاخلاق واختلال الحواس وشره في طلب اللذائذ .  
والذي يطيل البحث في النصوص القرآنية التي وردت

في تعدد الزوجات يجد أنها تحتوي اباحة وخطراً في آن واحد  
قال تعالى :

« فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع  
فان خفتن أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم . ذلك  
أدنى أن لا تعدلوا » .

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا  
تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة . وان تصلحوا وتتقوا فان  
الله كان غفوراً رحيماً » .

ومن هذه الآيات يتضح أن الشارع علق وجوب  
الاكتفاء بواحدة على مجرد الخوف من عدم العدل ثم صرح  
بان العدل غير مستطاع . فمن ذا الذي يمكنه ان لا يخاف عدم  
العدل مع ما تقرر من أن العدل غير مستطاع ؟ وهل لا يخاف  
الانسان من عدم القيام بالمحال ؟ اظن أن كل بشر اذا أراد  
الشروع في عمل غير مستطاع يخاف بل يعتقد أنه يعجز عن  
القيام به والوقوع في ضده .

ولو أن ناظرآ في الآيتين أخذ منهما الحكم بتحريم الجمع  
بين الزوجات لما كان حكمه هذا بعيداً عن معناها ولولا ان



السنة والعمل جاء بما يقتضي الاباحة في الجملة .

وكان مجموع الآيتين قد قضي بتحليل الجمع بين الزوجات  
ديانة وبان الله تعالى وكل الناس في ذلك الى ما يجدونه من  
انفسهم . فمن باغت ثقته من نفسه حداً لا يخاف معه ان يجوز  
واذا اراد ان يتزوج اكثر من واحدة ابيح له ذلك بينه وبين  
الله . ومن لم يصل الى هذا الحد من الاقتدار والتحفظ من  
الجور حرم عليه ان يتزوج اكثر من واحدة . ثم نبه مع ذلك  
على ان هذه الغاية من قوة النفس لا يمكن ادراكها زيادة  
في التحذير .

وغاية ما يستفاد من آية التحليل انما هو حل تعدد الزوجات  
اذا أمن الجور . وهذا الحلال هو كسائر انواع الحلال تعتريه  
الاحكام الشرعية الاخرى من المنع والكراهة وغيرها بحسب  
ما يترتب عليه من المناسد والمصالح . فاذا غلب على الناس الجور  
بين الزوجات كما هو مشاهد في ازماننا او نشأ عن تعدد الزوجات  
فساد في العائلات وتعد للحدود الشرعية الواجب التزامها  
وقيام العداوة بين اعضاء العائلة الواحدة وشيوع ذلك الى حد  
يكاد يكون عاماً جاز للحاكم رعاية للمصلحة العامة ان يمنع

تعدد الزوجات بشرط او بغير شرط على حسب ما يراه موافقاً  
لمصلحة الامة

وانه ليجمل برجال هذا العصر ان يقاعوا عن هذه العادة  
من انفسهم ولا اظن ان احداً من اهل المستقبل يأسف على  
تركها. فان التمتع بالنساء وان قل في هذه الحالة من الجهة  
الشهوانية فانه يزيد من الناحية المعنوية التي يلزم ان تكون  
وجهة كل راغب في الزواج. فان رجلاً يسوقه الى الزواج  
سائق العقل ويوجهه رغبته اليه حادي الفكر يعلم انه انما يتخذ  
لنفسه بالزواج قريناً صالحاً يمدّه بالمعونة في شؤونه ويؤنسه في  
وحدته ويشفعه في عمله ويقوم معه على بنيه ومن يعول من  
اهله. فهو يتخير لذلك خير العقائل واكرم السلائل ويصطنعها  
على ما يجب من العقل والادب وطهارة الظاهر وسلامة الباطن  
يكون له منها منظر بهي وملبس شهوي وصورة تعجب ومعنى  
يطرب. فهم يسبق الاشارة وذكاء يستغنى عن العبارة. لذة  
بلطف الشمائل ومتاع بمجمال الفضائل.

كل ذلك يكون له من زوجة يختارها لتكون صاحبة له  
مدة الحياة تأمن شره وانقلابه ويأمن منها المكرو والخلافة. تحسن

القيام على اولاده بالتربية الصالحة. وتغذيتهم بآدابها كما غدتهم بلبانها. فتأخذ ارواحهم من روحها ما أخذته ابدانهم من بدنها فينشأون على المحبة ويشبون على الالفة فيكون للرجل من ذلك كله مشهد ظاهره الراحة والطمانينة وباطنه السعادة والهناء. عيش ساعة مع التمتع به خير من حياة دهر مع الحرمان من بعضه. فاين التمتع بمثل هذه اللذة من الخلود الى ما انحط من دركات الشهوة؟

٣

« الطلاق »

قال فولتير الكاتب الفرنسي الشهير على طريقته من الفكاهة المعروفة في كثير من مؤلفاته « ان الطلاق قد وجد في العالم مع الزواج في زمن واحد تقريباً غير اني اظن الزواج اقدم ببضعة اسابيع بمعنى ان الرجل ناقش زوجته بعد اسبوعين من زواجه ثم ضربها بعد ثلاثة ثم فارقها بعد ستة اسابيع . وقد اراد بذلك ان يقول ان الطلاق قديم في العالم وانه يكاد ان يكون من الاعراض الملازمة للزواج. وهو حق لا يرتاب



فيه فقد دل تاريخ الامم على ان الطلاق كان مشروعاً عند اليهود والفرس والرومان وانه لم يمنع الا في الديانة المسيحية بعد مضي زمن من نشأتها

ولا يزال اثر ذلك المنع باقياً الى الآن في شرائع الامم الغربية التي وضعت الزواج على قاعدة انه عقد لا يحل الابطوت احد الزوجين . وهذا افراط في احترام هذا العقد ومغالاة فيه الى حد يصعب ان يتفق مع راحة الانسان

نعم ان من اماني الامم العالمة ان تكون عقدة الزواج عندها عقدة لا تنحل الا بالموت . ولكن مما تجب مراعاته ان الصبر على عشرة من لا تمكن معاشرته فوق طاقة البشر ولهذا فقد شعرت الامم الغربية على ممر الازمان بان احكام الكنيسة تطاب الناس بالكمال المطابق بدون مراعاة حاجاتهم وضرورتهم . وكان هذا الشعور من بواعث حركة النفوس الى التخلص من ربة تلك الاحكام فبرز الغربيون الى وضع القوانين على حسب مصالح حياتهم وما تقتضيه الحاجات ولقد اشتد هذا الشعور في الناس حتى اضطرت الكنيسة نفسها لان تخضع لمطالبه وموافاة رغائب الكافة وحمها الشح

بمكاتها ان تسقط على تقرير احكام في احوال سمتها « احوال بطلان الزواج ». ورتبت على ذلك البطلان احكاماً لا تختلف في آثارها عن احكام الطلاق. فقبلت فسخ الزواج اذا اثبت احد الزوجين انه لم يكن عند الزواج مطلق الاختيار او انه اخطأ في معرفة الآخر او اذا ادعى احد الزوجين ان الآخر لا يستطيع القيام بمقوق الزوجية . واخذت تتوسع في تأويل الحالة الثانية الى درجة متناهية حتى ادخلت فيها كل شيء . وفي الحالة الاخيرة قد كتني بأن يتفق الزوجان على ان يدعى احدهما ان الآخر لم يقم او لم يعد في امكانه ان يقوم بأول واجب يوجبه الزواج لينالاً بطلانه محتجة بأن الاخلال بهذا الحق لا تمكن معرفته الامن قبل الزوجين فقولهما هو الدليل الذي يصح التعويل عليه

الا ان هذا التساهل لم يف بنجاحات الامم في هذا الباب فبعد ان قنعت به مدة من الزمان انبعثت مرة اخرى الى المطالبة بتقرير احكام كافلة للراحة . خصوصاً وقد رأيت ان هذه الاسباب التي قررتها الكنيسة لبطلان الزواج تنلب فيها الخيلة وقل ما تتفق فيها الحقيقة . وان قيام شريعة على قوائم من الخيل

مما لا ترضاه المهذبة والا ذواق السليمة

ومن أجل ذلك اضطرت الحكومات الى تقرير الطلاق  
 والتصريح بجوازه على شروط بينها وأوسعت له محلاً من  
 قوانينها. وهكذا انحصر سلطان الكنيسة عما كان يتناوله في  
 هذه المادة كما بطلت سيطرتها في كل ما لم تتفق فيه أحكامها  
 مع صالح تلك الامم. وهذا هو الشأن في كل شرع أو دين  
 لا يراعي أهله في أحكامه مقتضيات الزمان والمكان ويففلون  
 عن طبيعة الانسان ويقفون به في مكان واحد عندما قرره  
 بعض من سبقهم بدون انعام نظره في أسراره وطرق تنفيذه  
 دخل الطلاق في جميع الشرائع الغربية تقريباً رغماً عن  
 معارضة الكنيسة وأصرارها على القول بأن من طلق بحكم  
 القانون لا يجوز له أن يتزوج لعدم اعتبارها ذلك الطلاق .  
 ولكنه لم يصل الى الدرجة التي يستحقها من القبول والاعتبار  
 ولم يستوف أحكامه الا عند الامة الامريكانية التي فاقت  
 غيرها ببذلها المجهود في الاقدام على طلب الترتي ففتحت أبواب  
 شريعتها للطلاق ولم تقيد به باحوال مخصوصة كما قيد غيرها  
 وكل مطلع على أحوال الامم الغربية يرى الميل عند جميعها



الى التوسع في الطلاق ولا بد أن تنتهي يوماً الى الاعتراف بان ما أباحت الى الآن من الطلاق المشروط بثبوت الزنا على أحد الزوجين او الحكم عليه بعقوبة في أحوال مخصوصة غير واف بالحاجة . وعند ذلك تقرر اباحة الطلاق متى وجدت أسبابه في نفوس الزوجين وتتركه الى مشيئتهما

نعم ان اباحة الطلاق بدون قيد لا تخلو من ضرر . ولكنه من المضرات التي لا يستغنى عنها ويكفي لتسويغه ان منافعه تزيد عن مضاره . فان كل نظام لا يخلو من ضرر والكمال التام في هذه الحياة الدنيا أمر غير مستطاع

ونحن لا نريد البحث في هذا الموضوع الواسع لاننا اجتنبنا في هذا المختصر كل بحث نظري . وانما نقول ان من أجل النظر في نصوص الكتاب العزيز وما اشتمل عليه من الآيات المقررة للطلاق وأحكامه يشعر بالنعمة التي أفاضها الله على المسلمين ويقتنع بان كتاب الله قد اتى من الحكمة على منتهاها وأنه وفي كل شيء حقه

وأول ما يجب الالتفات اليه هو أن شرعنا الشريف قد وضع اصلاً عاماً يجب ان ترد اليه جميع الفروع في احكام

الطلاق وهو أن الطلاق محذور في نفسه مباح للضرورة والشواهد على ذلك كثيرة في الآيات القرآنية والإحاديث النبوية وما جاء في كتاب الأئمة نورد منها ما يأتي :

قال تعالى : « فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً »

وقال جل شأنه : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدوا اصلاحاً يوفق الله بينهما »

وقال تعالى : « وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً او اعراضاً فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحاً . والصلح خير .

واحضرت النفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فالله كان بما تعملون خبيراً » .

وجاء في الحديث : « ابغض الحلال عند الله الطلاق » . وقال

عليه الصلاة والسلام : « لا تطلقوا النساء الا من ربية . ان الله

لا يحب الذواقين ولا الذواقات » . وقال علي كرم الله وجهه

« تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش » .

وجاء في حواشي ابن عابدين : ان الاصل في الطلاق

الحظر بمعنى انه محذور الا لعارض يديحه وهو معنى قولهم

الاصل فيه الحظر والاباحة للحاجة الى الخلاص. فاذا كان بلا سبب اصلا لم يكن فيه حاجة الى الخلاص بل يكون حقاً وسفاهة رأي ومجرد كفران بالنعمة واخلاص الايذاء بالمرأة وباهلها واولادها. ولهذا قال تعالى:،،فان اطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا،، اي لا تطلبوا الفراق،، انتهى (١)

والمطلع على كتب الفقه وان كان يجد ان جميع الائمة قد نظروا على العموم الى هذا الاصل الجليل الذي من شأن العمل عليه تضيق دائرة الطلاق بما يصل اليه الامكان. لكنه لا بد ان يلاحظ أيضاً انهم لم يراعوا في التفريع تطبيق هذا الاصل على طريقة واحدة متساوية ويرى ان الفقهاء من اتباع الائمة قد توسعوا في امر الطلاق ولم تطرد طريقتهم على وتيرة واحدة في تطبيق الاحكام على الوقائع. وهذا الاختلاف يشاهد على الخصوص في ثلاث مسائل كلها جديرة بالالتفات

اولها - مسألة وقوع الطلاق الصريح بدوز اشتراط النية فقد خالف بعض الفقهاء خصوصاً من المذهب الحنفي في هذه



المسئلة الاصول العامة التي بني عليها معظم احكام الشريعة وفاضت بها نصوص الكتاب والسنة كالاصل المقرر لعدم تكليف المكروه والغافل المخطيء واخرج الطلاق من مشمول هذا الاصل فقضى بوقوعه على المكروه والمخطيء والهازل والسكران مع تعريفهم السكران بانه هو الذي لا يميز السماء من الارض وظاهر ان اهل هذا الرأي لم يعولوا على النية التي هي اساس الدين الاسلامي كما يستفاد من حديث «انما الاعمال بالنيات» كما انهم لم يلتفتوا الى قصد الشارع في ان الطلاق محذور في الاصل وانه ابغض الحلال عند الله . وقد علموا نفاذ الطلاق في الاحوال التي اشرنا اليها باسباب اذكرها للقاري واترك له مسؤولية الحكم عليها

قرأت في كتاب الزيلعي ما معناه « ان طلاق الهازل والمخطيء يقع لان لفظ الطلاق ذكر على لسان الزوج . وان طلاق المكروه يقع لانه عرف الشرين واختاراهونهما . واما السبب في وقوع طلاق السكران فلانه ارتكب معصية فيكون نفاذ الطلاق زجرآله ،، (١)

ولكننا نحمد الله على أن في المذاهب الإسلامية الأخرى ما يخالف ذلك ويتفق مع أصول الشريعة ومصالح العامة ويمكن لمريد الإصلاح أن يأخذ به فيقرر بعدم صحة الطلاق الذي يقع في تلك الأحوال

ثانيها — ان الطلاق الذي نص عليه القرآن هو واحد رجعي دائماً. قال تعالى: « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم. لا تخرجنوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة. وتلك حدود الله ومن تعدى حدود الله فقد ظلم نفسه. لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً. فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن معروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم ». وقال تعالى: وبعولتهن أحق بردهن في ذلك ان أرادا إصلاحاً ولكن قسم الفقهاء الطلاق الى صريح وبالكناية وقالوا بالطلاق الصريح تقع واحدة رجعية ولو نوى أكثر من واحدة أو نوى واحدة بائنة. أما بالكناية فيكون الطلاق بائناً لا تصح بعده الرجعة ولا تحمل الزوجة الا بعقد جديد الا في بعض الفاظ استثنوها ويقع بها الطلاق ثلاثاً ان نوى الثلاث

الا انه يوجد في مذهب آخر كمذهب الشافعي رضي الله عنه ان الكنايات جميعها رجعية. ووجه الحق في هذا المذهب ظاهر فانما الطلاق طلاق على كل حال وهو فصل عصمة المرأة من الرجل. فاختلف الالفاظ بالنسبة الى هذا المعنى. انما هو اختلاف عبارة لا يصح أن يتعلق به اختلاف حكم. ولو سلم اختلاف الاحكام باختلاف الالفاظ في مثل هذا الباب لكان الاوجه أن يكون حكم الكناية أخف من حكم الصريح

ثالثها — اتفق أغلب المذاهب على أن الطلاق ثلاثاً متفرقة في حيض واحد في او في مرة واحدة وبلفظ واحد يقع ثلاثاً. على أن هذا النوع من الطلاق الذي اعترف الفقهاء أنفسهم بأنه بدعي — اي مخالف للكتاب والسنة — لا يمكن تصوره على الكيفية التي قررها الفقهاء ونصوص القرآن كلها تأبى تأويلهم. قال تعالى: «الطلاق مرتان فامسك بمعروف او تسريح باحسان». وجاء في تفسير هذه الآية في كتاب حسن الاسوة: «وانما قال سبحانه مرتان ولم يقل طلقتان اشارة الى انه ينبغي ان يكون الطلاق مرة بعد اخرى لا طلقتان



دفعه واحدة . كذا قال جماعة من المفسرين . وجاء فيه ايضاً : « قد اختلف أهل العلم في ارسال الثلاث دفعة واحدة هل تقع ثلاثاً أو واحدة فقط . فذهب الى الاول الجمهور وذهب الى الثاني من عدهم وهو الحق . وقد قرره العلامة الشوكاني في مؤلفاته تقريراً بالغاً وافرده برسالة مستقلة . وكذا الحافظ بن القيم في اغائة اللفهان واعلام الموقعين » ( ١ )

جاء في ابن عابدين : « وعن الامامية لا يقع بلفظ الثلاث ولا في حالة الحيض لانه بدعة محرمة . وعن ابن عباس « يقع به واحدة وبه قال ابن اسحاق وطاوس وعكرمة لما في مسلم » ان ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة . فقال عمر ان الناس قد استعجلوا في امر كان لهم فيه اناة فلو امضيناه عليهم فامضاه عليهم . وذهب جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين الى انه يقع ثلاثاً . قال في الفتح بعد سوق الاخادith الدالة عليه : وهذا يعارض ما تقدم واما امضاء عمر الثلاث عليهم مع عدم مخالفة

« الصحابة له وعلمه بأنها كانت واحدة فلا يمكن الا وقد اطلعوا  
 « في الزمان المتأخر على وجود ناسخ او لعلمهم بانتهاء الحكم  
 « لذلك لعلمهم باناطته بمعان علموا انتفاءها في الزمن المتأخر  
 « وقول بعض الحنابلة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن  
 « مائة الف عين راته فهل صح لكم عنهم او عن عشر عشر عشرهم  
 « القول بوقوع الثلاث باطل. اما اولاً فاجمعهم ظاهر لانه لم ينقل  
 « عن احد منهم انه خالف عمر حين امضى الثلاث ولا يلزم في  
 « نقل الحكم الاجماعي عن مائة الف تسمية كل في مجلد كبير  
 « الحكم واحد على انه أجماع سكوتي» (١)

وقد روى في هذه المسئلة من الاحاديث ما لم يدع شكاً  
 في ان الطلاق الثلاث في مجلس واحد لا يقع الا واحد. جاء  
 في الزيلعي: «وقال ابن عباس اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضبان ثم  
 قال: «ايلعب بكتاب الله وانا بين اظهركم». ذكره القرطبي  
 ورواه النسائي (٢) وجاء فيه ايضاً: «وذهب اهل الظاهر وجماعة  
 « منهم الشيعة الى ان الطلاق الثلاث جملة لا يقع الا واحدة لما

«روى عن ابن عباس أنه قال : «كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وسنتين من خلافة عمر رضي الله عنهم واحدة فامضاه عليهم عمر رضي الله عنه» رواه مسلم والبشاري. وروى ابن اسحق عن عكرمة عن ابن عباس انه قال : طلق ركانة بن عبد يزيد زوجته ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً فسأله عليه الصلاة والسلام : «كيف طلقتهما ؟ قال طلقتهما ثلاثاً في مجلس واحد . قال : انما تلك طلقة فارتجعهما ( ١ )

يرى القارىء من هذه العبارات التي بسطناها ليحصل لنفسه منها رأياً ان علماء مذهب عظيم كذهب ابن حنبل لم يعولوا على قضاء عمر رضي الله عنه بل تمسكوا بنصوص القرآن وسنة النبي ويمكن للامة اذا ارادت الاصلاح أن تأخذ بقولهم لان عمر رضي الله عنه قد بين لنا سبب قضائه بقوله : « ان الناس قد استعجلوا في امر كان لهم فيه اناة فلو امضينا عليهم » فكأنه اجتهد في جعله عقوبة لردعهم عنه. وكلنا نعلم انه لم ينشأ من اجتهد عمر الاستمرار العامة بلفظ الطلاق الثلاث وتهافتهم



عليه في محاوراتهم وإيمانهم  
 بل لم لا يأخذ مرید الإصلاح بمذهب الامامية الذي نقله  
 ابن عابدين وهو مذهب الائمة من آل البيت في قولهم كما  
 مر : ان الطلاق لا يقع بالطلاق الثلاث ولا في الحيض لانه  
 بدعة محرمة »

وان سمح لي القاريء ان ابدى هنا كل ما اظنه صواباً  
 اقول لا يمكنني ان افهم ان الطلاق يقع بكلمة مجرد التلفظ بها  
 .هما كانت صريحة . نعم ان الامثال الشرعية لا تستغني عن  
 اللفاظ اذ لو حللنا اي عقد لوجدناه مركباً من ظهور ارادة  
 او مطابقة ارادتين حصل الاستدلال عليها او عليهما من الفاظ  
 صدرت شفاهياً او بالكتابة ولذلك فليس الغرض الاستغناء عن  
 اللفاظ . وانما مر ادنا ان اللفظ لا يجب الالتفات اليه في الاعمال  
 الشرعية الا من جهة كونه دليلاً على النية

فينتج من ذلك انه يجب ان يفهم ان الطلاق انما هو عمل  
 يقصد به رفع قيد الزواج وهذا يفرض حتماً وجود نية حقيقة  
 عند الزوج و ارادة واضحة في انه انما يريد الانفصال من زوجته  
 لا ان يفهم كما فهمه الفقهاء وصرحوا به في كتبهم ان الطلاق هو

التلفظ بحروف ( ط ل ا ق )

والذي يطلع على كتبهم يندهش عند ما يري اشتغالهم بتأويل الالفاظ والتفنن في فهم معانيها في ذاتها بقطع النظر عن الاشخاص . وعندهم متى ذكر اللفظ تم الاثر الشرعي . ولهذا قصروا اجتهاتهم جميعها على الكلمات والحروف وامتلأت الكتب بالاشتغال بفهم طلقتك وانت طالق وانت مطلقة وعلي الطلاق وطلقت رجلك او رأسك أو عرقك وما اشبه ذلك . وصارت المسئلة مسألة بحث في اللفظ والتركيب ربما كان منفيداً للغة والنحو ولكنه لا يفيد مطلقاً علم الفقه بشيء

على أننا نظن أن علم الشرائع يقبل اجتهاداً اخرى غير تأويل الالفاظ . والطلاق لم يخرج عن كونه عملاً شرعياً يترتب عليه ضياع حقوق وانشاء حقوق جديدة وهو في حد ذاته لا يقل عن الزواج في الاهمية حيث يتعلق به أعظم الحوادث المدنية كالنسب والميراث والنفقة والزواج . فالاستخفاف به الى هذا الحد أمر يدهش حقيقة كل من له المام ولو سطحي بالوظيفة السامية التي تؤديها الشرائع في العالم

ولو ترك فقهاؤنا الاشتغال بالالفاظ ونحشوا في ما أخذ

الاحكام التي يقررونها وعرفوا تاريخها وأسبابها وقارنوا  
المذاهب بعضها ببعض وانتقدوها وبالجملة لو اشتغلوا بعلم  
الفقه الحقيقي لتبين لهم أن الطلاق لا يكون طلاقاً الا اذا  
كان مصحوباً بنية الانفصال

ويمكن لناظر ان يجد في كتب الشريعة الاسلامية ما  
يفيد عدم صحة الطلاق اذا فقدت نية الانفصال فقد نقل عن  
شرح الثلقين: «ان الرجل لو طلق زوجته بكلمة أو كلمات في  
حال الغضب او النزاع لا يقع طلاقه». ورووا في ذلك احاديث  
مثل قول علي ابي طالب «من فرق بين المرء وزوجته بطلاق  
الغضب والاجاج فرق الله بينه وبين احبائه يوم القيامة قال  
الرسول عليه السلام»

نعم ان ناقل هذا القول اجتهد في رده وبالغ في ابطاله  
ولكن مريد الاصلاح له ان يبحث في كتب الشرع كلها ويقف  
على آراء الفقهاء مهما كانت خصوصاً اذا كان قصده محو فساد  
عظيم صار ضرره عاماً

نحن في زمان الفرجال فيه الهذر بالفاظ الطلاق فجعلوا  
عصم نساءهم كأنها لعب في ايديهم يتصرفون فيها كيف يشاؤون



ولا يرفعون للشرع حرمة ولا للعشرة حقاً. فترى الرجل منهم يناشئ آخر فيقول له ان لم تفعل كذا فزوجتي طالق فيخالفه فيقال وقع الطلاق وانقصت العصمة بين الخالف وزوجته وهي لا تعلم بشيء ما ولا تبغض زوجها. لا تود فراقه بل ربما كان الفراق ضربة قاضية عليها. وكذلك الرجل ربما كان يحب زوجته ويألم لفراقها فاذا افترق منها بتلك الكلمة التي صدرت منه لا يقصد الاتصال من زوجته وإنما يقصد الزام شخص آخر بالعدل الذي كان يريد ان كان الطلاق على ذرية منه. رب رجل يناشئ زوجته في بعض شؤون البيت فيرد على لسانه في وقت الغضب الخالف بالطلاق من باب التخويف والترديد وعلى ذرية قصد منه لهدم العصمة فيقال ايضاً وقع الطلاق ويعقبه ايضاً ما سبق ذكره من البلاء الذي ينزل على الزوجين

رب ذلاح يرتكب جريمة السرقة مثلاً فيسأله العمدة أو مأمور المركز عما وقع منه فينكر فيستحلفه بالطلاق فيحلف انه ما سرق والحال انه سرق فيقال كذلك وقع الطلاق وهو لم يقصد يمينه الا تبرئة نفسه ولم يخطر بباله عند الحلف انه

باغض لزوجته كاره لعشرتها.

فلم لا يجوز مع ظهور الفساد في الاخلاق والظن في العقول  
وعدم المبالاة بالمقاصد أن يؤخذ بقول بعض الائمة من ان  
الاستشهاد شرط في صحة الطلاق كما هو شرط صحة الزواج كما  
ذكره الطبرسي وكما تشير اليه الآية الواردة في سورة الطلاق  
حيث جاء في آخرها ، « واستشهد ذوي عدل منكم » ؟

ليس هذا امر اصريحاً بالاستشهاد يشمل كل ما اتى  
قبله من طلاق ورجعة وامك وفراق ؟ أليس قصد الشارع  
ان يكون للطلاق واقعة حال مشهورة لدى العموم ليسهل  
اثباته ؟ لم لا نقرر ان وجود الشهود وقت الطلاق ركن بدونه  
لا يكون الطلاق صحيحاً فيمتنع بهذه الطريقة هذا النوع الكثير  
الوقوع من الطلاق الذي يقع الان بكلمة خرجت على غير  
قصد ولا روية في وقت غضب ؟ نظن ان في الاخذ بهذا  
الحكم موافقة لآية من كتاب الله ورعاية لمصلحة الناس . وما  
يدرينا ان الله سبحانه وتعالى قد اطعم على ما تصل اليه الامة  
في زمان كزماننا هذا فانزل تلك الآية الكريمة لتكون نظاماً  
لنا نرجع اليها عند ميس الحاجة كما هو شأننا اليوم

بل ان ارادت الحكومة ان تفعل خيراً للامة فعليها ان  
نضع نظاماً للطلاق على الوجه الآتي

( المادة الاولى )

كل زوج يريد ان يطلق زوجته فعليه أن يحضر أمام القاضي  
الشرعي أو المأذون الذي يتم في دائرة اختصاصه ويخبره بالشقاق  
الذي بينه وبين زوجته

( المادة الثانية )

يجب على القاضي او المأذون ان يرشد الزوج الى ما ورد في  
الكتاب والسنة مما يدل على ان الطلاق ممقوت عند الله وينصحه  
ويبين له تبعه الامر الذي سيقدم عليه ويأمره ان يتروى مدة اسبوع

( المادة الثالثة )

اذا اصر الزوج بعد مضي الاسبوع على نية الطلاق فعلى القاضي  
او المأذون ان يبعث حكماً من أهل الزوج وحكماً من أهل الزوجة  
أو عدلين من الاجانب ان لم يكن لهما اقارب ليصلحا بينهما

( المادة الرابعة )

اذا لم ينجح الحسبان في الاصلاح بين الزوجين فعليهما ان  
يقدمتا تقريراً للقاضي او المأذون وعند ذلك يأذن القاضي او المأذون  
للزوج في الطلاق

( المادة الخامسة )

لا يصح الطلاق الا اذا وقع أمام القاضي او المأذون وبحضور  
شاهدين ولا يقبل اثباته الا بوثيقة رسمية



والذي يتأمل في الآيات التي سبق ذكرها في الاستشهاد  
 والتحكيم يرى ان نظاماً مثل هذا ينطبق على مقاصد الشريعة  
 ولا يخالفها في شيء. وليس لمعتز ان يحتج بان نظاماً مثل  
 هذا يسلب الزوج حقه في الطلاق لان حق الزوج في الطلاق  
 باق على ما هو عليه الآن. فهو الذي يملك عصمة الزواج وأسباب  
 الفراق لا تزال متروكة لتقديره. وغاية ما في الامر اننا اشترطنا  
 ان يسبق الطلاق تحكيم الحكيمين ونصيحة القاضي. وليس  
 في هذا تعد على حق من حقوق الزوج وانما هو وسيلة للتروي  
 والتبصر اتخذت لمصلحة المرأة واولادها بل ولمصلحة الزوج  
 نفسه حيث نرى كثيراً من الأزواج يأسفون على وقوع  
 الطلاق منهم على غير روية ثم يضطرون الى استعمال الخيل  
 الدنيئة كالمستحل مثلاً لمداواة طينشهم

الا يرى افاضل الفقهاء ان مثل هذه الطريقة البسيطة  
 تترتب عليها منفعة عظيمة هي تقليل عدد الطلاق فضلاً عما  
 فيها من اتباع أوامر الله وتنفيذ حكم مهم مثل حكم التحكيم  
 المنصوص عنه في الآية التي ذكرناها واتباع امر شرعي بقي  
 معطلا الى الآن حيث لم نسمع باجرائه يوماً خصوصاً في امة

كامتنا بلغ أمرها من فساد الاخلاق والطيش الى حد أن الرجل  
 يحلف بالطلاق وهو يأكل ويشرب ويمشي ويضحك ويتشاجر  
 ويسكر وامرأته جالسة في بيتها لا تعلم شيئاً مما جرى في الخارج  
 بينه وبين غيره

دلت احصائية الطلاق عن مدينة القاهرة في مدة الثمانين  
 عشرة سنة الاخيرة على أن كل اربع زوجات يطلق منهن  
 ثلاث وتبقي واحدة فقط . واليك بيانها بالتفصيل

سنة	زواج	طلاق	سنة	زواج	طلاق
١٢٩٨	١٣٦٠١	٦٩٠٢	١٣٠٧	٥٧٠٠	٤٧٠٠
١٢٩٩	٤٩٠٠	٤١٥٢	١٣٠٨	٦٧٥٠	٥٩٠٠
١٣٠٠	٤٣٥٠	٤٦٤٨	١٣٠٩	٦٩٠٠	٥٥٤٨
١٣٠١	٣٤٠٠	٤٠٠٠	١٣١٠	٧١٠٠	٥٨٤٧
١٣٠٢	٤٧٠٠	٥٢٥٠	١٣١١	٧٤٠٠	٥٢٨١
١٣٠٣	٤٧٤٩	٥٥٠٠	١٣١٢	٨٢٥٠	٤٦٥٠
١٣٠٤	٤٨٥٠	٤٦٩٨	١٣١٣	١٤٢٥٠	٤٦٠٠
١٣٠٥	٤٧٤٩	٥٣٥٠	١٣١٤	٨١٥٠	٤٣٠٠
١٣٠٦	٥٠٠٠	٥٨٥٠	١٣١٥	٨١٤٨	٤٠٠٠

واذ ذكر هنا احصائية اخرى عمومية عن عدد الطلاق والزواج  
 الذي حصل في عموم القطر المصري في سنة ١٨٩٨ :

١٨٩٨ ١٢٠٠٠٠ ٣٣٠٠٠ (١)

ومنها يظهر ان كل اربع زوجات تطلق منهن واحدة وتبقى ثلاث وهذه النتيجة وان كانت احسن من الاولى بسبب انها تشتمل على سكان الارياف الذين لا يطلقون مثل اهل مصر الا ان كلاهما من اقوى الحجج على اضمحلال حال العائلات عندنا وسهولة تهديم بنائها ومن الغني عن البيان ان المرأة اذا ترقت وشعرت بجميع ما لها من الحقوق فانها لا تقبل ان تعامل بطرق القسوة والاهانة التي تعامل بها وهي جاهلة . وعند ذلك يحس الرجال انفسهم بأنه ليس من اللائق بهم ان يستعملوا حق الطلاق الذي وكله الله بامانتهم الا عند الضرورة التي شرع الطلاق لاجلها . فترية النساء مما يساعد على اصلاح اخلاقنا وتاديب السنتنا . فان الرجل يحتقر المرأة الجاهلة ولكنه يشعر رغماً عن ارادته باحترام المرأة اذا وجد منها عقلا ومعرفة وعلواً في الاخلاق فيف لبسانه عن ذكر ما لا يليق بها . ويؤدي لها حقوقها ولكن لا يجمل بنا ان ننتظر ذلك الزمان الذي يبلغ فيه النساء بالتربية والتهديب ما يملأ قلوب الرجال من توقيهن واحترامهن بل يجب على كل من يهتم بشأن امته ان ينظر في الطرق التي تخفف من مضار الطلاق الى ان يأذن الله بتلك الغاية التي هي منتهى كل غاية . وقد بينا ان مجموع المذاهب الاسلامية قد حوى من الاحكام ما يساعد على وضع حدود تقف عندها العامة وتكون مراعاتها من الوسائل الى

(١) هذه الاحصائية استخرجها من دفاتر المحاكم الشرعية حضرة  
عمر افندي اسماعيل الموظف بنظارة الحقانية والمتدب الآن بالمحكمة  
الشرعية الكبرى



تقدمنا في طريق الصلاح . و اقل ما يكون من اثرها ان لاتجد المفاسد سبيلا من الشرع الى ظهورها فبذلك يكمل نظام العائلة وتعيش المرأة في طمأنينة وراحة بال ولا تكون في كل آن مهددة بفقد كانهما من العائلة بسبب و بلا سبب

ولكن لنا ان نلاحظ انه مهما ضيقنا حدود الطلاق فلا يمكن ان تنال المرأة ما تستحق من الاعتبار والكرامة الا اذا منحت حق الطلاق : ومن حسن الحظ ان شريعتنا النفيسة لا تعوقنا في شيء مما نراه لازماً لتقدم المرأة . والوصول الى منح المرأة حق الطلاق يكون باحدي طريقتين الطريقة الاولى ان يجرى العمل بمذهب غير مذهب الحنفية الذي حرم المرأة في كل حال من حق الطلاق حيث قال الفقهاء من اهلها : ( ان الطلاق منع عن النساء لاختصاصهن بنقصان العقل ونقصان الدين وغلبة الهوى ) مع ان هذه الاسباب باطلة لان ذلك ان كان حال المرأة في الماضي فلا يمكن ان يكون حالها في المستقبل ولان كثيراً من الرجال احط من النساء في نقصان الدين والعقل وغلبة الهوى . واستدل على ذلك بملاحظة وردت علي عند اطلاعي على احصائية الطلاق في فرنسا فقد رأيت انه في سنة ١٨٩٠ حكمت المحاكم الفرنسية بالطلاق في ٩٧٨٥ قضية منها سبعة آلاف تقريباً حكم فيها بالحق للنساء حيث ثبت امام المحاكم ان العيب كان من الرجال ولا يصح في الحق ان شرعية سمحاء عادلة كشريعتنا تسلب المرأة جميع الوسائل التي تبيح لها التخلص من زوج لا تستطيع المعيشة معه كأن كان شريراً أو من ارباب الجرائم أو فاسقاً أو غير ذلك مما لا يمكن معه لامرأة سليمة الذوق والاخلاق ان ترضى بعشرته

وقد وفي مذهب الامام مالك للمرأة بحقتها في ذلك وقرر ان لها ان ترفع امرها الى القاضي في كل حالة يصل لها من الرجل ضرر جاء في كتاب البهجة في شرح التحفة لابن الحسن التسولي ما يأتي :

« ان الزوجة التي في العصمة اذا اثبتت ضرر زوجها بها بشيء من المتقدمة والحال انها لم يكن لها بالضرر شرط في عقد النكاح من انه »

« ان اضربها فامرها بيدها فقتيل لها ان تطلق نفسها بمد ثبوت الضرر »

« عند الحاكم من غير ان تستأذنه في ايقاع الطلاق المذكور اي لا يتوقف »

« تطليقها نفسها على اذنه لها فيه وان كان ثبوت الضرر لا يكون الا »

« عنده كما ان الطلاق المشترط في عقد النكاح اي المعلق على وجود ضررها »

« لها ان توقعه بمد ثبوته بغير اذنه وظاهره اتفاقاً . وقيل حيث »

« لم يكن لها شرط به لها ان توقع الطلاق ايضاً لكن بمد رفعها اياه للحاكم »

« و بمد ان يزجره القاضي بما يقتضيه اجتهاده من ضرب او سجن او توبيخ »

« ونحو ذلك ولم يرجع عن اضرارها . ولا تطلق نفسها قبل الرفع والزجر . »

« ومنهم من قرله ان الطلاق بيد الحاكم فهو الذي يتولى ايقاعه ان »

« طلبته الزوجة وامتنع منه الزوج وان شاء الحاكم امرها ان توقعه . فعلى »

« هذا القول لا بد ان يوقعه الحاكم او يأمرها به فتوقعه . واذا امرها »

« به فهي نائبة عنه في الحتمية كما انه هو نائب عن الزوج شرعاً حيث »

« امتنع منه . وروى ابو زيد عن ابن القاسم انها توقع الطلاق »

« دون امر الامام . قال بعض الموثقين والاول اصوب »

الطريقة الثانية — ان يستمر العمل على مذهب ابي حنيفة ولا يمكن تشترط كل امرأة تنزوج ان يكون لها الحق في ان تطلق نفسها متى شاءت او تحت شرط من الشروط : وهو شرط مقبول في جميع المذاهب

وهذه الطريقة افضل من الاولى من بعض الوجوه . فان من المضار الحقيقية التي تتفق كل النساء في التحفظ منها وبذل المستطاع في اتقائها ما لا يكون سبباً يسمح للقاضي ان يحكم بالطلاق في مذهب مالك وذلك كنزوح الرجل بامرأة اخرى وزوجته الاولى في عصمته . فان الزوجة الاولى لو رفعت شكواها الى القاضي وطلبت منه ان يطلقها لم يجز للقاضي ان يجيب طلبها فلو اشترطت ان تطلق نفسها متى شاءت او عند ما يتزوج زوجها عليها كان الامر بيدها . ولكن العمل على الطريقة الاولى احكم واحزم فان وضع الطلاق تحت سلطة القاضي ادعى الى تضيق دائرته وادنى الى المحافظة على نظام الزواج ولما كان تخويل الطلاق للنساء مما تمتصيه العدالة والانسانية لشدة الظلم الواقع عليهن من فئة غير قليلة من الرجال لم تتحمل ارواحهم بالوجدانات الانسانية السليمة كان الى الامل الشديد في ان يحرك صوتي الضعيف همة كل رجل محب للحق من ابناء وطني خصوصاً من اولياء الامور الى اغائه هؤلاء الضعيفات المقهورات الصابرات





## خاتمة

تبين للتقارىء مما سبق ان ما نريد ادخاله من الاصلاح فى حالة النساء ينقسم الى قسمين: قسم يختص بالعادات وطرق المعاملة والتربية. والقسم الثانى يعلق بدعوة اهل النظر فى الشريعة الاسلامية والعارفين باحكامها الى مراعاة حاجات الامة الاسلامية وضرورتها فيما يختص بالنساء وان لا يقفوا عند تطبيق الاحكام عند قول امام واحد انما كان اجتهاده موافقاً لمصلحة عصره. وان يدققوا بالبحث فيما تغير من الاحوال والشؤون فان وجدوا فى قول امام ما تتعسر معه المحافظة على كرامة الشرع اقاموا مقامه قول امام آخر يكون فى مذهبه ما يسد الحاجة بدون خروج عن اصول الشريعة العائمة والعمل على تحقيق هذين النوعين من الاصلاح هو كغيره من سائر الاعمال النافعة انما يتم بالعلم والعزيمة :

١

### ( اما العلم )

فهو وسيلة الامة لمعرفة حاجاتها و به تتنبه اذهان افرادها الى ما هم فيه وما درجوا عليه من الاخلاق والوائد والكمالات والنقائص بحيث يكونون على شعور دائم باحوالهم وتكون تلك الامور دائماً موضوع بحشم

ان من الغفلة بل من اسباب الشقاء ان تكون شؤونها فى حياتنا قائمة بوائد لا تفهم اسبابها ولا ندرك آثارها فى احوالنا بل انما نتمسك

بها لانها جاءت الينا ممن سلفنا وورثناها عنن تقدمنا وذلك كل ما فيها من الحسن عندنا ومع ان هذا وحده لا يكفي لان يكون سبباً في الاخذ بها ولا في الثبات عليها بل يجب ان تفهم ان لنا مصالح ولمن سبقتنا مصالح ولنا شؤون ولهم شؤون ولنا حاجات لم تكن لهم وكانت لهم حاجات ليست لنا اليوم وذلك من البديهي الذي لا يختلف فيه اثنان

فعلينا ان نأخذ من العوائد وان نكسب من الاخلاق ما يلتئم مع مصالحنا فنكون مالكين لمصادر اعمالنا كما يطلب منا العقل والشرع لا ان نكون عبيداً لعاداتنا التي وجدنا عليها آباءنا فيكون مثلنا مثل رجل وجد لباسه ضيقاً فرأى ان يجوع ليهزل ويضعف وينحل حتى يصغر جسمه فيسعه لباسه لا ان يصلح لباسه بتوسعته حتى يتفق مع جسمه. انا لا نجد عقبة في طريقنا الى السيادة اصعب اجتيازاً من شدة تمسكنا بعادات من سلفنا من غير ان نميز بين تلك العادات صالحها وطالحها نعم ان الماضي لا يصلح ان يطرح جملة. لكن يجب ان ينظر فيه بالتبصر والروية لمعرفة ما اظهر من منافع ومضار

لا ارى اعجب من حالنا : هل نعيش الماضي او للمستقبل؟ هل نريد ان نتقدم او نريد ان نتأخر؟ نرى العالم في تقلب مستمر وشؤونه في تغير دائم ونحن ننظر الى ما يقع فيه من تبدل الاحوال بين شاخصة وفكرة حائرة ونفس ذاهلة لا ندري ماذا نصنع ثم ننهزم الى الماضي نلتمس فيه مخلصاً ونطلب منه عوناً فنترد دائماً خائبين

رأينا في هذا القرن حادثة عجيبة اظنها وحيدة في التاريخ. رأينا أمة بتمامها خلعت عوائدها وابطلت رسومها وتخلت عن نظاماتها وقوانينها وطرحتها وراء ظهرها فقطعت كل وصلة بينها وبين ماضيها

الا ما كان متعلقاً بجامعة شيعياً . ثم همت فبنت بناء جديداً مكان البناء القديم فلم يمحض عليها نصف قرن الا وقد شيدت هيكلها جميلاً على آخر طرز افاده المتمدن فهبت من نومها ونشطت من عقالها وشعرت بان الحياة تدب في بدنها وتجرى في عروقها دماً حاراً قوياً فتياً : تلك هي الامة اليابانية صارت تعد اليوم في صف الامم المتقدمة بعد ان قهرت في بضعة ايام دولة الصين الجسيمة التي لم يقتلها الا اعجابها بماضيها . اليس في ذلك عبرة لكل متبصر ؟

لو كانت عوائدنا فيما يتعلق بالنساء لها اساس في شريعتنا لكان في ميلنا الى المحافظة عليها ما يشفع لنا أما وقد برهننا على ان كل ما عرضناه من اوجه الاصلاح يتفق تمام الاتفاق مع احكام الشريعة ومقاصدها فلم يبق لنا عذر في التمسك بما سوى أنها قد تقدست بمرور الزمان الطويل وانا غفلنا عن مصالحنا وتدير شؤوننا

اذا توهم بعض القراء ان ما ورد في كتب الفقهاء من استحسان عدم كشف وجه المرأة وعدم مخالطتها بالرجال دفماً للفتنة هو من الاحكام الدينية التي لا يجوز تغييرها فنقول ان هذا الاعتراض مردود بان الاحكام الشرعية جاءت في الناب المطلقة وجارية على ما تمتضيه للعادات الحسنة ومكارم الاخلاق ووكلت فهم الجزئيات الى انظار المكلفين ووضعها تحت تصرف اجتهادهم وعلى هذا جرى العمل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه واتباعه

ولما اتسعت خطة الاسلام وكثر اختلاط المسلمين بغيرهم من الامم وعرضت عليهم حاجات وضرورات اقتضت احكاماً ومشروعات جديدة قام المجتهدون بينهم واستنبطوا لهم من اصول الشريعة العامة ما



يناسب الوقائع الخاصة ففصلوا ما اجمله القرآن والسنة من الاحكام وفرعوا منها ما يناسب الاحوال والامصار والاعصار . فهم لم يضعوا بذلك شرعاً ولم يضيفوا على الدين شيئاً وانما كان اجتهادهم قاصراً على النظر في الجزئيات وردها الى كلياتها المقررة في الكتاب والسنة

الا ترى ان القرآن لم يبين اهم الفروض مثل احكام الصلاة ومواقبتها وركوعها وسجودها ولا مقادير الزكاة واوقاتها ولا مناسك الحج . وان السنة هي التي رسمت جميع الاحكام مجملة ثم جاء المجتهدون ففصلوا احكامها وقرروا فروعها ؟

على هذا النمط تألفت شريعتنا : من فروع كلها راجعة الى اصل واحد . فالشريعة الاسلامية انما هي كليات وحدود عامة . ولو كانت تعرضت الى تقرير جزئيات الاحكام لما حق لها ان تكون شرعاً يمكن ان يجد فيه كل زمان وكل امة ما يوافق مصالحهما

فهذه القواعد الكلية التي تحدد اعمالنا بحدود يجب الانتهاء اليها على حسب ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة هي التي لا تقبل التفسير والتبديل . اما الاحكام المبينة على ما يجري من العوائد والمعاملات فهي قابلة للتغيير على حسب الاحوال والازمان وكل ما تطلبه الشريعة فيها هي ان لا يخل هذا التغيير باصل من اصولها العامة . فكشفت الراس مثلاً قبيح في البلاد الشرقية لانه كان معتبراً في المادة مخلاً بالمروءة ولهذا السبب اعتبر عند اهل الشرق قادحاً في العدالة . ولكنه غير قبيح في البلاد الغربية فلا يكون عندهم قادحاً . فالحكم الشرعي يجب ان يختلف باختلاف ذلك . وجواز اثبات التصرفات الشرعية بالشهادة لم يكن الغرض منه معنى مخصوصاً في اشخاص الشهود وانما الغرض منه

اثبات هذه التصرفات بالطريقة التي وقع الاصلاح عليها ولم يكن غيرها مألوفاً . فاذا تغيرت الاحوال وتبدل الاصلاح واعتاد الناس على التعامل فيما بينهم بالكتابة تغير كذلك الحكم الشرعى ونحولت طريقة الاثبات من الشهادة الى الكتابة . واذا قيل باستحباب ستر المرأة وجهها عن الرجال خوفاً للفتنة وعدم الاقتضاء الحال لكشفه في زمان كان هناك محل لخوف الفتنة ولا تقضي ضرورات الحياة على المرأة بكشف وجهها فلا مانع من ان يتغير هذا الاستحسان الى ضده في زمان آخر . ذلك لان اختلاف الاحكام باختلاف العوائد والمصالح ليس في الحقيقة اختلافاً في الشريعة وانما هو رد لاحكام الجزئيات الى اصولها الكلية ورجوع بها الى مقاصدها الشرعية

تبين من ذلك ان لنا في ما كنا وملبسنا ومشر بنا وجميع شؤون حياتنا العمومية والخصوصية الحق في ان نتخير ما يليق بنا ويتفق مع مصالحنا بشرط ان لا نخرج عن تلك الحدود العامة التي اشرنا اليها اما الزمان بما وجدنا عليه آباءنا وعدم الخروج عن الدائرة التي رسموها لانفسهم فهو القضاء على الامة الاسلامية بجمود القرائح وتقييد الارجل وغل الايدي عن كل عمل تحفظ به كونها وتدافع به عن وجودها وتتقدم به في سبيل سعادتها . بل قد يكون قضاء عليها بالمحو والاضمحلال

## ٢

« واما العزيمة »

فهي حث الارادة الى كل خير ارشدنا اليه العلم والعرفان والفرار بها من كل شردانا عليه البحث والتنقيب . العزيمة هي اشرف قوى الانسان واجلها واعظمها اثرأ في اعماله . فالتعليم والتهديب وسعة

العقل والاميال الحسنة والغرائز الطيبة كل ذلك لا يفيد فائده تذكر عند شخص مجرد عن العزيمة: ولهذا كان ضعف الارادة اكبر عيب في الانسان. نرى الكثير من اهل بلادنا يستحسنون فكرة او عملا ولكنهم لا يجدون من انفسهم همة كافية لخدمة تلك الفكرة او ذلك العمل. ويكفي انهم يعلمون ان بعض الناس لا يتفق معهم في رأيهم لتلاشي ارادتهم وسقوطها. اما اذا علموا انه ربما يسهم ضرر ما من ناحية ذلك العمل رأيتهم يفرون منه فراراً

ان كان لنا امل في نجاح ما نبتده صالحاً لنا فانما يكون في الرجل الذي يجب ان يعرف ويبحث ليعرف ويعرف بالفعل ما يحتاج اليه بلاده. وله عزيمة تدفعه الى العمل في جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها بالوسائل التي تؤدي الى المطلوب بطبيعتها طال الزمان او قصر

فعملي مثل هذا الرجل الكامل نعرض طريقة للعمل فيما نحن بصدده بعد العلم بان الخطوة الاولى في كل شيء هي من اصعب الامور لان الانتقاد جميعه ينصب علي من ابتدء في امر خطير. ومن النادر اى يوجد شخص يحس من نفسه قوة كافية لمقاومة تيار الانتقاد العام

فاحسن طريقة اراها لتنفيذ ما عرضناه في هذا الكتاب هي ان تؤسس جمعية يدخل من الآباء من يريد تربية بناته على الطريقة التي شرحناها وان يختار لتلك الجمعية رئيس من كبار المصريين (ولا اظن ان الطبقات العليا من اهل بلادنا تخلو من واحد منهم) وان يكون عمل هذه الجمعية في امرين: الاول التعاون على تربية البنات على هذه القاعدة الجديدة. . . والثاني السعي لدى الحكومة في اصدار



القوانين التي تضمن للمرأة حقوقها بشرط ان لا يخرج في شيء من ذلك عن الحدود الشرعية ولكن بدون ان تنقيد بمذهب من المذاهب بل تاخذ عن كل منها ما هو موافق لحاجاتنا الحاضرة وضرورات عصرنا كما حصل مثل هذا في وضع المجلة الشمانية وكما حصل عندنا مراراً في بعض المسائل المتعلقة بالمحاكم الشرعية . فذات شكات هذه الجمعية يخف اللوم عن كل واحد من اعضاءها فان قوة الانتقاد تأتي متوزعة على جملة من الافراد فيسهل احتمالها ومقاومتها فلا يكون في شدة الانتقاد ما يبعث على فتور الهمة وضيغ الارادة عن العمل . لان في قوة الجماعة من الاقتدار على المدافة ما ليس في قوة الفرد الواحد : والاجتماع هو القوة الحقيقية التي بدونها لا ينجح شيء

نرى حكومتنا تهتم بمسئلة صغيرة كمسئلة الشفعة فتبين لها لجنة شرعية لتبحث في المذاهب وتجمع ما تراه مناسباً من الاحكام . ونرى كثيراً من المصرين يدخلون في كثير من الجمليات مثل جمعية الرنق بالحيوان ومعارض الازهار وغيرها ولا يضمنون بوقتهم ولا بما لهم في تضديد مشروع من هذه المشروعات يعتقدون صلاحيته . ونرى الجرائد تنشر بين طبقات الامة من المعارف ما يساعد على تربيتها وتهذيبها وقد آن الوقت الذي يجب فيه على الحكومة وعقلاء الامة وارباب الاقلام ان يوجهوا التفاتهم الى حال المرأة المصرية فاني لا ارى مسائلة تمس ب حياة الامة اكثر منها ولا أحق منها بان تكون موضوعاً لنظرمهم وبجالات آرائهم وافكارهم





والمطلع على الشريعة الإسلامية يعلم أن تحرير المرأة هو من أنفُس الأصول التي يحق لها أن تفتخر به على سواها لأنها منحت المرأة من إثني عشر قرن مضت الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية إلا في هذا القرن وبعض القرن الذي سبق. حتى إنها لا تزال محرومة من بعض الحقوق، وهي الآن مشغلة بالمطالبة بها، فإذا كانت شريعتنا قررت للمرأة قضاء ذاتية في تدبير ثروتها والتصرف فيها، وحثت على تعليمها وتهذيبها، ولم تحجر عليها الاحتراف بأى صنعة والاشتغال بأى عمل، وبالغت في المساواة بينها وبين الرجل إلى حد أن أباحت لها أن تكون وصية على الرجل وأن تتولى وظيفة الإفتاء والقضاء، أى وظيفة الحكم بين الناس بالعدل. فإن القوانين الفرنسية لم تمنح النساء حق الاحتراف بصناعة المحاماة إلا في العام الماضى.

قاسم أمين

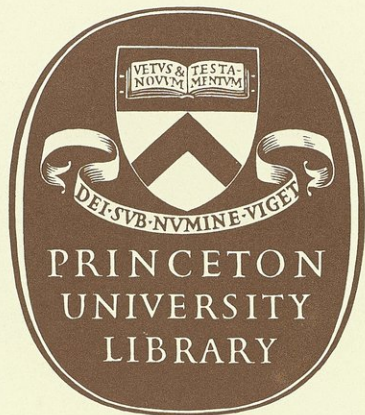
مطبوعات مؤتمر  
«مائة عام  
على تحرير  
المرأة العربية»











PRINCETON  
UNIVERSITY  
LIBRARY



HQ1793

.Q3

1999

NEC